المسجد الأقصى

الذي لا نعرفه

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

ياسر برهامي

تأليف

عصام عبد الرازق



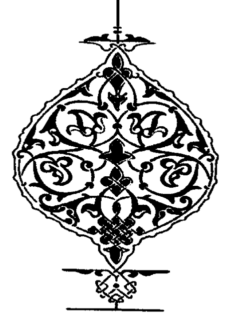
دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩



ربَّنا تقبَّلْ منَّا
إنَّكَ أنتَ السَّميعُ العَليمُ

رقم الإيداع
٢٠٠٧/١٧٨٨٦

الترقيم الدولي
977-331-110-4



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - اسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت [illegible] - ٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_eleman@hotmail.com

تقديم

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور/ ياسر برهامي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أمـــا بعـــــد

فإن الصراع مع اليهود صراع مستمر إلى يوم القيامة كما بين سبحانه حقيقة العداوة معهم فقال ﴿**لتجدن أشد الناس عداوة للذين ءامنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾ [المائدة ٨٢]وقال النبي ﷺ (**لا تقوم الساعة حتى يقتتل المسلمون واليهود فيقتل المسلمون اليهود حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي ورائي تعالى فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**) متفق عليه. وهذا الصراع مركزه مدينة القدس والمسجد الأقصى، أولى القبلتين ومسرى نبينا ﷺ وأحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها.

ونحن على يقين من وعد الله لهذه الأمة بوراثة هذه الأرض المباركة مع غيرها من بقاع الأرض، قال تعالى ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين**﴾**[الأنبياء ١٠٥،١٠٦]**

وإن قراءة التاريخ قراءة إسلامية لهو من أهم الأمور التي نعرف بها سنة الله في خلقه **﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾** [آل عمران ١٣٧]وقال تعالى **﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها﴾** [محمد ١٠].

وإن كثيرا من الناس قد يغتر بقوة الباطل في بدايته ويظن أن غطرسته وجبروته لا يمكن أن يقف أمامها شيء ، واليهود قد بلغوا الغاية في ذلك، ولكن قراءة التاريخ كما أمرنا الله ودراسة ما جرى لمن قبلنا تنبؤنا بنهاية الظلم واضمحلال العدوان وزهوق الباطل أمام الحق **﴿قل جآء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾** [سبأ ٤٩].

وتأتي هذه الدراسة التاريخية الجغرافية التي أعدها الأخ الفاضل/عصام عبد الرازق مساهمة في هذا الطريق ومعاونة على تعريف المسلمين بتاريخ هذه المدينة المباركة المشرفة عسى أن يكون في ذلك مزيد العزم على استعادتها من أيدي الغاصبين وتطهير مسجدها من دنس المجرمين.

نسأل الله تحقيق ذلك وهو نعم المولى ونعم النصير.

كتبه

ياسر برهامي

مقدمة

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة، وهو الحكيم الخبير. والصلاة والسلام على الهادي البشير ﷺ ، خاتم النبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإذا كان لكل كتاب قصة، فقصة هذا الكتاب ليست قصة كاتبه. ولكنها قصة أمة.
أمة قدر الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس، ولكنه سبحانه اشترط لذلك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وكتب عليها سبحانه أن تكون شهيدة على الناس كافة والأمم عامة، ولذلك فرض عليها الإيمان بجميع الكتب المنزلة من عنده سبحانه وبجميع الأنبياء والمرسلين وعدم التفريق بين أحد منهم. وأمضى عليها سبحانه سنته بأن يقترن عزها وعلوها بتمسكها بدينها وفروضه وحدوده، وأن يقترن ذلها وصغارها بتركها لدينها وتفريطها في أحكامه وواجباته.

وقيض سبحانه لهذه الأمة أعداء، يتلمسون كل ثغرة ويتحينون كل فرصة لشق صفوفها والنيل منها، سعيا وراء كسر شوكتها وإذلال هامتها. وقد يأذن سبحانه لهؤلاء الأعداء بالنيل من الأمة أحيانا من تقتيل لبعضهم، وإذلال لبعضهم، وسوم بعضهم سوء العذاب. ولكنه ﷻ لا يأذن لدينه أن يذل أو أن يقهر أو يغلب. ولا يأذن لكلمة الحق أن تكون السفلى. فقد كتب سبحانه لدينه العز الأبدي ولكلمته العلو السرمدي.

ومن هؤلاء الأعداء الذين يتربصون بنا ويكيدون لنا، اليهود، أعداء البشرية والإنسانية، الذين سعوا في الأرض فأكثروا فيها الفساد، حتى اشتكتهم الأرض لرب العباد.

الذين كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون. ثم ألصقوا بأنبياءهم التهم ونسبوا إليهم فعل المنكرات والكبائر، ليبرروا لأنفسهم فعل الفواحش.

وقد كادوا للإسلام وأهله منذ ظهوره، واتخذوه عدوا، فلم يكفوا لحظة عن الكيد والتدبير وتلمس الثغرات واستغلال سقطات وهفوات المسلمين ومواطن ضعفهم على مر العصور.

وحديثا، تذكر إخوان القردة والخنازير أن لهم دين وأنبياء وتراث وملك زائل عليهم أن يعيدوه. فراحوا يجمعون تاريخهم ويراجعونه، فتاقت نفوسهم إلى هيكل سليمان، والبقعة المباركة التي بُني فوقها ذلك الهيكل. تلك البقعة التي بارك الله فيها، وقدسها الأنبياء على مدار الزمن، وأقام كل منهم ما استطاع من بناء فوقها تقديساً وتعظيماً لها، حتى جاء الإسلام وورث المسلمون هذا المكان وعظموه وأقاموا عليه بناءاً عظيما.
هذا المكان هو المسجد الأقصى، الذي بارك الله حوله، والذي قدر الله له أن يكون من محاور التاريخ البشري ومركز أحداثه إلى يوم الدين.
تذكر اليهود ذلك فدبروا المكائد وأعدوا الخطط لاستعادة السيطرة على هذه البقعة التي طهرها الله من أنجاسهم، بل وللسيطرة على كل مكان عاش فيه أجدادهم على مر العصور ، بل إمتد حلمهم إلى حكم العالم تحت لواء واحد منهم يحكم العالم من تلك البقعة.

وفي غفلة من أهل الإسلام — بل وهم في سبات عميق — أعلن اليهود دولتهم على أرض الإسلام. وسموها بإسم نبي الله يعقوب (إسرائيل) عليه السلام الذي نسبوا إليه شرب الخمر ومبارزة الرب وانتصاره عليه — تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا. واتخذوا لدولتهم رمز نبي الله داود عليه السلام (كما يزعمون) والذي نسبوا إليه الزنا وشرب الخمر — معاذ الله.
ويخططون ويحاولون إعادة بناء هيكل سليمان عليه السلام الذي نسبوا إليه كذلك من الفواحش ما تقشعر منه الأبدان.
فأين يبنون الهيكل ؟ بالطبع على أنقاض المسجد الأقصى !

المسجد الأقصى الذي هو أولى القبلتين ومسرى رسول الله ﷺ ، وموضع اهتمام كل المسلمين على مر العصور، الذين اعتبروه بعد الحرمين الشريفين بمكة والمدينة في المكانة، فشدوا إليه الرحال بأمر نبيهم ﷺ وأعلوا بناءه وأحسنوا زينته ورعوه حق رعايته.

وقد جعل الله سبحانه ذلك المسجد المبارك مقياساً آخر لعزة المسلمين أو هوانهم. فإذا تمسكوا بدينهم وأقاموا شرع الله، كان المسجد في حيازتهم ونالوا شرف رعايته وحمايته. وإذا ابتعدوا عن منهج الله وأحكامه، نُزع منهم المسجد ودخله أعداء الله من الكفار ودنسوه وألبسوا أهل الإسلام عار الخزي وذل الهزيمة.

وقد ظل المسجد ينعم برعاية حكام المسلمين على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم إلى وقت قريب. ثم خَلَفَ من بعدهم خلفٌ ، لا يعرفون عن المسجد الأقصى إلا اسمه. فلا يعلمون شيئاً عن تاريخه، مَن بناه أول مرة ؟.. مَن مِن الأنبياء مر عليه ؟.. لماذا يقدسه المسلمون ؟ ..من بناه في عصر الإسلام ؟.. من قام بصيانته وترميمه وحمايته على مر الأزمان ؟

ولا يعرفون شيئاً عن أبنيته. فنجد معظم المسلمين لا يعرفون الفرق بين المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذا فضلا عن أن يعرفوا بقية المباني المنتشرة في ساحات المسجد الأقصى المبارك من مآذن وأروقة وقباب وأسبلة .. والتي تدخل كلها في حرم المسجد الشريف.

ولا شك أن ذلك كله مقصود وتهدف إليه وسائل الإعلام التي يسيطر عليها اليهود في معظم دول العالم. فقد طمسوا على أعين الناس وصموا آذانهم، وعلموهم ما يريدون لهم أن يتعلموه، هذا فضلاً عن تعميتهم أصلا عن دينهم ومقدساتهم.

وهذا هو المطلوب، ليعملوا هم في الخفاء وفي غفلةٍ من المسلمين، فلا يسمع أحد صرخات المسجد الأقصى وأنينه تحت وطأة اليهود، حتى يفيق المسلمون على أصوات انهيار مسجدهم المبارك — لا قدر الله.

ومن وقت لآخر يقوم اليهود بجس نبض المسلمين في العالم قبل الإقدام على عمل قد يثير الذين لا تزال روح الإسلام تدب بداخلهم. وذلك بأشكال عديدة، مثل بناء مستوطنات

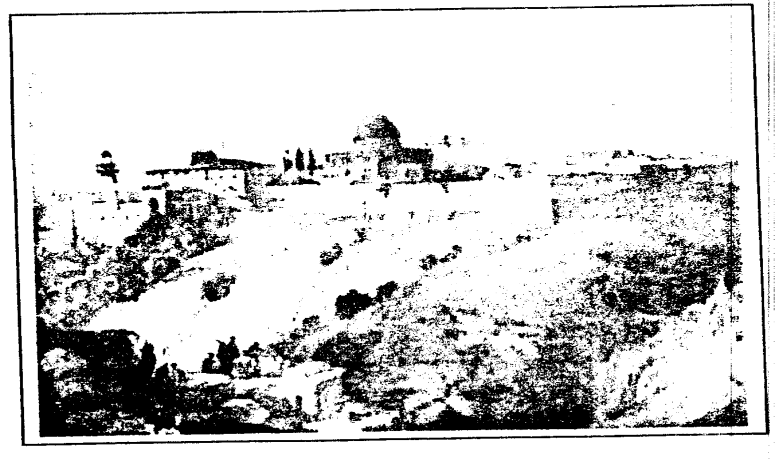
بالقرب من المسجد، أو منع الصلاة فيه، أو دخول بعض اليهود لأداء طقوسهم الشركية في ساحات المسجد الطاهر، أو بمواصلة عملية الحفريات تحت المسجد.
وكانت آخر هذه الاسنفزازات لجس نبض المسلمين، زيارة المجرم أرئيل شارون للمسجد الطاهر يوم ٢٨ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٠م تحت حراسة أكثر من ٢٠٠٠ جندي، الأمر الذي أثار المسلمين في كل بقاع الأرض، وعلى رأسهم الشعب الفلسطيني الباسل، شعب الأبطال، الذين تصدوا للإعتداء على حرمة المسجد المبارك وليمنعوا دخول هذا المجرم النجس إلى الحرم المقدس ، وكانت هذه بداية إنتفاضة مباركة منصورة بإذن الله.
وخرجت جماهير المسلمين في كل دول العالم ثائرة، لتثبت لإعداء الله أن روح الإسلام لم ولن تموت أبدا بإذن الله، وأن الذل والهوان لن يكونا من نصيب المسلمين إلى الأبد.

هذه هي القصة التي دفعتني لأكتب عن المسجد الأقصى، قدسنا الذي لا نعرفه.
وهي دعوة للمسلمين لقراءة تاريخهم، وتفحص مقدساتهم والإحاطة بها علما. وذلك كي يزداد ارتباطهم وتعلقهم بها. فلا شك أن الجهل بهذه التفاصيل يزيد القلب بعدا عن هذه المقدسات، ويقلل التعلق بها والشوق إليها. ولا شك أيضا أن العلم بهذه التفاصيل يزيد من تعظيمها والإستعداد للدفاع والزود عنها.
لذا حاولت أن أقدم بعض المعلومات عن تاريخ المسجد الأقصى، وعن مكوناته المعمارية، وكذلك عن وضعه ومشاكله التي يعانيها تحت وطأة الإحتلال اليهودي الصهيوني.

وأسأل الله تعالى أن ينفع المسلمين بهذا الكتاب، وأن يجعله خطوة أو بداية علىطريق صحوة الأمة، وعودتها إلى دينها، كي ينجي الله قدسها المبارك من أيدي إخوان القردة والخنازير، ويرده إليهم سالما، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

عصام عبد الرازق

الباب الأول



[إن قراءة التاريخ واجب من الواجبات الدينية وركن من أركان اليقين فلابد من تحصيله] الإمام محمد عبده

تاريخ المسجد الأقصى

تاريخ فلسطين قبل الإسلام

قدر الله ﷻ أن تكون فلسطين أرضاً للرسل والأنبياء الذين حملوا راية التوحيد، ودعوا أقوامهم إلى الالتزام بها. وقد شهدت فلسطين في تاريخها القديم نماذج عنيفة في سبيل تثبيت راية الحق على الأرض المباركة .

ويجب –قبل أن نخوض في التفاصيل – أن نثبت حقيقة مهمة، وهي أن المسلمين يؤمنون بكل الأنبياء ويعتبرون تراث الأنبياء تراثهم، ويعتبرون رسالتهم الإسلامية امتداداً لرسالات الأنبياء الذين جاءوا من قبلهم، وأن الدعوة التي دعا إليها الأنبياء هي نفس الدعوة التي دعا إليها محمد ﷺ وبالتالي فإن رصيد تجربة الأنبياء في دعوتهم للحق وعبادة الله وحده لا تنفصم عن دعوة المسلمين ورصيد تجربتهم .

ويغرق العديد من المؤرخين عند مواجهتهم لادعاءات اليهود المعاصرين بحقهم في فلسطين في الانشغال بعلوم الآثار، وذكر الشعوب التي استوطنت أو حكمت أو مرت على فلسطين وكم حكم كل منها هذه الأرض ليخرجوا في النهاية بنتيجة مؤداها ضآلة الفترة والمساحة التي حكم فيها اليهود عبر التاريخ مقارنة بالعرب والمسلمين، ورغم أن هذا الجانب مفيد في رد ادعاءات اليهود من النواحي التاريخية والعقلية المنطقية، إلا أن كثيراً من هؤلاء الكتاب والمؤرخين يقعون في خطأين كبيرين حسبما يظهر لنا:

الأول: اعتبار تراث الأنبياء الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل أو قادوهم تراثاً خاصاً باليهود فقط، وهذا ما يريده اليهود !!

الثاني: الإساءة إلى سيرة عدد من أنبياء بني إسرائيل باستخدام الاستدلالات المستندة إلى توراة اليهود المحرفة نفسها، وهم عندما يستخدمونها فإنما يقصدون الإشارة إلى "السلوك المشين" لبني إسرائيل.

وقادتهم عندما حلوا في فلسطين، ليضعفوا من قيمة دولتهم ويبينوا انحطاط مستواهم الحضاري، ويدخل أصحاب هذا المنهج في الاستدلال بما ذكرته الإسرائيليات من اتهام للأنبياء بالغش والكذب والزنى واغتصاب الحقوق وقتل الأبرياء، في محاولات لإثبات قسوة ومكر ولؤم اليهود وتشويه صورة حكمهم ودولتهم في ذلك الزمان .

لقد كفانا القرآن الكريم مؤونة التعرف على أخلاق اليهود وفسادهم وإفسادهم، غير أن أنبياءهم وصالحيهم أمر آخر، فالأنبياء خير البشر، ولا ينبغي الإساءة إليهم والانجرار خلف الروايات الإسرائيلية المحرفة، التي لا ينسبون فيها السوء للأنبياء فقط وإنما لله تبارك وتعالى. لقد حرف اليهود التوراة، وساروا على نهج التوراة المحرفة في أخلاقهم وفسادهم وإفسادهم محتجين بما نسبوه إلى أنبيائهم كذباً وزوراً، ومن الواجب على المؤرخين وخصوصاً المسلمين ألا يندفعوا في استقرائهم لتاريخ فلسطين إلى اتهام أنبياء الله بما افتراه عليهم اليهود وذلك في سبيل إثبات حق الأقوام الأخرى في فلسطين.

وإذا كانت رابطة العقيدة والإيمان هي الأساس الذي يجتمع عليه المسلمون مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم، فإن المسلمين هم أحق الناس بميراث الأنبياء — بما فيهم الأنبياء وهم السائرون على دربهم وطريقهم وهؤلاء الأنبياء هم مسلمون موحدون حسب الفهم القرآني، وانظر إلى قوله تعالى ﴿ **ما كان إبراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، إن أولى الناسِ بإبراهيمَ لَلَذينَ اتبعوه وهذا النبيُ والذين آمنوا والله وليُ المؤمنين**﴾ [آل عمران: ٦٧] وقوله تعالى ﴿**وإذْ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ منَ البيتِ وإسماعيلُ ربنا تقَبلْ منا إنك أنتَ السميعُ العليمُ، ربنا واجعلنا مُسلمَينِ لكَ ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك . .**﴾ [البقرة:١٢٨]، وقوله تعالى ﴿**ومن يرغبُ عن ملةِ إبراهيمَ إلا من سفه نفسهُ ولقدِ اصطفيناهُ في الدنيا وإنه في الآخرةِ لمن الصالحين، إذْ قال له ربه أسلمْ قال أسلمتُ لرب العالمين، ووصى بها إبراهيمُ بنيه**

ويعقوبُ يا بني إن الله اصطفى لكم الدينَ فلا تموتُن إلا وأنتم مسلمون، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدونَ من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ إلهاً واحداً ونحنُ له مسلمون﴾ [البقرة:١٣٣].

وبشكل عام فأمة التوحيد هي أمة واحدة من لدن آدم عليه السلام حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وأنبياء الله ورسله وأتباعهم هم جزء من أمة التوحيد، ودعوة الإسلام هي امتداد لدعوتهم، والمسلمون هم أحق الناس بأنبياء الله ورسله وميراثهم .

فرصيد الأنبياء هو رصيدنا، وتجربتهم هي تجربتنا، وتاريخهم هو تاريخنا، والشرعية التي أعطاها الله للأنبياء وأتباعهم في حكم الأرض المباركة المقدسة هي دلالة على شرعيتنا وحقنا هي هذه الأرض وحكمها .

نعم، لقد أعطى الله سبحانه هذه الأرض لبني إسرائيل عندما كانوا مستقيمين على أمر الله وعندما كانوا يمثلون أمة التوحيد في الأزمان الغابرة، ولسنا نخجل أو نتردد في ذكر هذه الحقيقة وإلا خالفنا صريح القرآن، ومن ذلك قول موسى عليه السلام لقومه ﴿ **يا قومِ ادخلوا الأرضَ المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين** ﴾ [المائدة:٢١]، غير أن هذه الشرعية ارتبطت بمدى التزامهم بالتوحيد والالتزام بمنهج الله، فلما كفروا بالله وعصوا رسله وقتلوا الأنبياء ونقضوا عهودهم وميثاقهم، ورفضوا اتباع الرسالة الإسلامية التي جاء بها محمد ﷺ والذي بشرّ به أنبياء بني إسرائيل قومهم ﴿ **الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ [الأعراف:١٥٧] ، ﴿**ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ [الصف:٦]، فلما فعلوا ذلك حلت عليهم لعنة الله وغضبه ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية**﴾ [المائدة:١٣]، وقال تعالى ﴿ **قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله**

وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَدَ الطاغوتَ أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل ﴾ [المائدة: ٦٠].

أما ما يتعلق بادعاءات اليهود التاريخية فقد كفانا الكثير من المؤرخين مؤونة الرد عليها ففترة حكم فلسطين تحت راية الإسلام هي أطول الفترات التاريخية، والشعوب التي استوطنت فلسطين قبل مجيء اليهود بأكثر من ألف عام ظلت مستقرة فيها حتى الآن، وقد اندمجت بها الهجرات العربية قبل وبعد الفتح الإسلامي وهي التي يتشكل منها شعب فلسطين الحالي بدينه الإسلامي ولغته وسماته.

فلسطين في العصور القديمة

حسب بعض الدراسات والمراجع التاريخية التي اعتمدت على الدراسات المادية من حفريات ووثائق ودلائل متعددة يمكننا أن نثق فيها دون الجزم القاطع بصحتها، والتي تقسم التاريخ عصورا مثل الحجري والحديدي والبرونزي .. إلخ، فقد سكن الإنسان أرض فلسطين منذ العصور الموغلة في القدم، وهناك آثار تعود إلى العصر الحجري القديم (٥٠٠ ألف – ١٤ ألف ق.م)، والعصر الحجري الوسيط (١٤ ألف – ٨ آلاف ق.م) حيث يطلق على هذا العصر في فلسطين الحضارة النطوفية نسبة إلى مغائر النطوف شمال القدس، وأصل النطوفيين غير معروف حتى الآن وتركزت حضارتهم على الساحل وعاشوا في المغائر والكهوف كمغائر جبل الكرمل .

وفي العصر الحجري الحديث (٨٠٠٠ – ٤٥٠٠ ق.م) انتقلت حياة الإنسان في فلسطين إلى الاستقرار، وتحول من جمع الغذاء إلى إنتاجه، وفي أريحا ظهرت أول الدلائل على حياة الاستقرار، وهي تعتبر – حتى الآن – أقدم مدن العالم حيث أنشئت نحو ٨٠٠٠ ق.م.

وامتد العصر الحجري النحاسي من (٤٥٠٠ — ٣٣٠٠ق.م)، وقد كشف عن مواقع حضارية أثرية تعود إلى تلك الفترة في منطقة بئر السبع، وبين جبال الخليل والبحر الميت، والخضيرة على السهل الساحلي .

وتميزت بداية الألف الثالث قبل الميلاد بظهور الإمبراطوريات القديمة في الشرق، وقد رافق ذلك التوصل إلى الكتابة والبدء بتدوين التاريخ، ومن هنا تبدأ العصور التاريخية في فلسطين.

ويطلق على الفترة الممتدة من (٣٣٠٠ — ٢٠٠٠ ق.م) اسم العصر البرونزي القديم، وقد تميزت هذه الفترة بظهور المدن التحصينية الدفاعية التي قامت على هضاب مرتفعة، وانتشرت بأعداد كبيرة وكانت غالبيتها في وسط وشمال فلسطين، ومن أهم المواقع بيسان ومجدو والعفولة ورأس الناقورة وتل الفارعة غرب نابلس. وفي الألف الثالث قبل الميلاد زاد عدد سكان فلسطين ونمت المدن وأصبح لها قوة سياسية واقتصادية مما يمكن تسميته عصر "دويلات المدن".

وخلال الألف الثالث قبل الميلاد هاجر إلى فلسطين العموريون (الأموريون) والكنعانيون، وكذلك اليبوسيون والفينيقيون (وهما يعتبران من البطون الكنعانية)، وعلى ما يظهر فقد كانت هجرتهم إلى فلسطين حوالي ٢٥٠٠ ق.م، حيث استقر الكنعانيون في سهول فلسطين، وتركز العموريون في الجبال، واستقر اليبوسيون في القدس وما حولها وهم الذين أنشأوا مدينة القدس وأسموها "يبوس" ثم "أورسالم"، أما الفينيقيون فاستقروا في الساحل الشمالي لفلسطين وفي لبنان.

ويرى ثقات المؤرخين أن العموريين والكنعانيين واليبوسيين والفينيقيين قد خرجوا من جزيرة العرب وأن سواد أهل فلسطين الحاليين وخاصة القرويين هم من نسل تلك القبائل والشعوب القديمة أو من العرب والمسلمين الذين استقروا في البلاد إثر الفتح الإسلامي لها.

لقد كانت هجرة الكنعانيين واسعة في تلك الفترة بحيث أصبحوا السكان الأساسيين للبلاد، واسم أرض كنعان هو أقدم اسم عرفت به أرض فلسطين، وقد أنشأ الكنعانيون معظم مدن فلسطين، وكان عددها — حسب حدود فلسطين الحالية — لا يقل عن مائتي مدينة خلال الألف الثاني قبل الميلاد وقبل قدوم العبرانيين اليهود بمئات السنين. ومن المدن القديمة فضلاً عن أريحا والقدس مدن شكيم (بلاطة، نابلس) وبيسان وعسقلان وعكا وحيفا والخليل وأسدود وعاقر وبئر السبع وبيت لحم .

ثم جاء العصر البرونزي الوسيط (٢٠٠٠ — ١٥٥٠ ق.م) حيث شهد النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد حكم الهكسوس الذين سيطروا على فلسطين خلال القرون (١٨ —١٦ق.م) وعلى ما يظهر ففي هذا العصر (حوالي ١٩٠٠ق.م) قدم إبراهيم عليه السلام ومعه ابن أخيه لوط عليه السلام إلى فلسطين وهناك ولد إسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام .

وبدأ العصر البرونزي المتأخر (١٥٥٠ — ١٢٠٠) بانزواء حكم الهكسوس ودخول فلسطين تحت سيطرة الحكم المصري المطلق، أما العصر الحديدي (١٢٠٠ — ٣٢٠ق.م) فيظهر أنه في بدايته (١٢٠٠ ق.م تقريباً) استقبلت فلسطين مجموعات مهاجرة من مناطق مختلفة أبرزها هجرات "شعوب البحر" التي يظهر أنها جاءت من غرب آسيا ومن جزر بحر إيجه (كريت وغيرها) وقد هاجمت هذه الشعوب في البداية سواحل الشام ومصر ولكن رعمسيس الثالث فرعون مصر صدها عن بلاده في معركة بلوزيون "قرب بور سعيد" وأذن لها أن تستقر في الجزء الجنوبي من فلسطين، وورد في النقوش الأثرية اسمها "ب ل س ت "، ومنها جاءت تسميتهم "فلسطيون" ثم زيدت النون إلى اسمهم (ربما على اعتبار الجمع) فأصبحوا فلسطينيين وقد أقام الفلسطيون خمس ممالك هي مدن غزة وأشدود وجت وعقرون وعسقلان وهي مدن المرجح أنها كنعانية قديمة غير أنهم وسعوها ونظموها ثم أنشاوا مدينتين جديدتين هما اللد وصقلغ، واستولوا على بقية الساحل حتى جبل

الكرمل كما استولوا على مرج ابن عامر، وسرعان ما اندمج الفلسطيون بالكنعانيين واستعملوا لغتهم وعبدوا آلهتهم (داجون وبعل وعشتار)، ورغم أن الفلسطيين ذابوا في السكان إلا أنهم أعطوا هذه الأرض اسمهم فأصبحت تعرف بفلسطين.

ويظهر من الدلائل التاريخية المقارنة أن موسى عليه السلام قاد بني إسرائيل باتجاه الأرض المقدسة في النصف الأخير من القرن ١٣ ق.م أي أواخر العصر البرونزي المتأخر، الذي شهد هو وبداية العصر الحديدي بداية الدخول اليهودي إلى فلسطين، ثم قيام مملكة داود وسليمان عليهما السلام ١٠٠٤ — ٩٢٣ ق.م التي انقسمت إلى مملكة إسرائيل ٩٢٣ — ٧٢٢ ق.م ومملكة يهودا ٩٢٣ — ٥٨٦ ق.م والتي حكمت كل منها جزءاً محدوداً من أرض فلسطين. ومنذ ٧٣٠ ق.م دخلت فلسطين بشكل عام تحت النفوذ الآشوري القادم من العراق حتى ٦٤٥ ق.م ثم ورثهم البابليون في النفوذ حتى ٥٣٩ ق.م، وكان الآشوريون والبابليون يتداولون النفوذ على فلسطين مع مصر. ثم إن الفرس غزوا فلسطين وحكموها ٥٣٩ — ٣٣٢ ق.م. ثم دخلت فلسطين في العصر الهلينستي اليوناني حيث حكمها البطالة حتى ١٩٨ ق.م ورثهم السلوقيون حتى ٦٤ق.م عندما جاء الرومان وسيطروا على فلسطين، وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية ظلت فلسطين تتبع الإمبراطورية الرومانية الشرقية "دولة الروم" وعاصمتها القسطنطينية حتى جاء الفتح الإسلامي وأعطاها صبغتها العربية الإسلامية سنة ٦٣٦م.

وفي الصفحات التالية، سوف نتناول —بإذن الله تعالى— هذا التاريخ بشيء من التفصيل، لنتعرف على حال المسجد الأقصى، هذه البقعة المباركة من أرض الله، في كل عصر من تلك العصور.

كان إبراهيم عليه السلام أول الأنبياء الذين نعلم أنهم عاشوا في فلسطين وماتوا فيها، وإبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء فمن نسله جاء الكثير من الأنبياء كإسحاق ويعقوب ويوسف وإسماعيل ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولد إبراهيم عليه السلام – حسبما ورد من آثار – في "أور" في العراق وعاش هناك ردحاً من الزمن حيث قام بتحطيم الأصنام ودعا إلى التوحيد وواجه النمرود وألقمه الحجة، وأُلقي في النار عقاباً له على تحطيم الأصنام فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وهاجر إبراهيم ومعه ابن أخيه لوط في سبيل الله، **﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴾**[الصافات: ٩٩].

ويظهر أن إبراهيم في البداية هاجر ومن معه إلى حران (الرها) وهي تقع الآن في جنوب تركيا إلى الشمال من سوريا، ومن هناك هاجر إلى أرض كنعان "فلسطين"، قال تعالى **﴿ ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾** [الأنبياء: ٧١]، وحسب تقدير المؤرخين فإن قدومه إلى فلسطين كان حوالي ١٩٠٠ق.م وكان هذا التاريخ بالنسبة لتاريخ العراق القديم يمثل نهاية عهد "أور الثالثة" التي حكمها السومريون وبداية العصر البابلي القديم الذي سيطرت فيه العناصر السامية القادمة من جزيرة العرب "العموريون".

نزل إبراهيم عليه السلام في شكيم قرب نابلس ومنها انتقل إلى جهات رام الله والقدس ومر بالخليل ثم ببئر السبع حيث استقر حولها زمناً ثم ارتحل إلى مصر، وكان ذلك يوافق تقريباً عهد الأسرة الحادي عشر أو الثاني عشر لفراعنة مصر، وعاد من مصر ومعه "هاجر" التي أهداها الزعيم المصري، وذكر في رواية أنها ابنة فرعون أو إحدى الأميرات، ثم عاد إلى فلسطين فمر بجوار غزة حيث التقى أبا مالك أمير غزة، ثم تجول بين بئر السبع والخليل، ثم

صعد إلى القدس، ثم إن لوطا عليه السلام انتقل إلى جنوب البحر الميت حيث أرسل لأهل تلك المنطقة، بينما مكث إبراهيم عليه السلام في جبال القدس والخليل، وقد ولد إسماعيل عليه السلام لإبراهيم من سريته هاجر، ثم رزق بإسحاق بعد ذلك بثلاثة عشر عاما من زوجته سارة، وقد رزق إبراهيم بأبنائه وهو في سن كبيرة نستشف ذلك من قوله تعالى على لسان سارة **﴿ يا ويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ﴾** [هود:٧٢].

وقد تردد إبراهيم عليه السلام على الحجاز أكثر من مرة، فقد أحضر إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة وقصة سعي هاجر بين الصفا والمروة وتفجر ماء زمزم مشهورة، ثم إن إبراهيم عاد فبنى مع إسماعيل الكعبة **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** [البقرة:١٢٨]. غير أن مركز استقرار إبراهيم ظل فلسطين.
ظل إبراهيم عليه السلام مقيما في أرض كنعان (أرض فلسطين) بعد بناء الكعبة ، وأصبحت هذه البقعة من أرض الشام مهجرا له بعد أن نشأت له فيها الذرية الطيبة[١].
واتخذ فيها مكانا يعبد الله فيه، وكان هذا المكان يمثل المرحلة المبكرة جدا لتقديس هذه البقعة واتخاذها مكانا للعبادة.
قال ابن تيمية — رحمه الله:
"فالمسجد الأقصى كان من عهد إبراهيم عليه السلام ولكن سليمان عليه السلام بناه بناءا عظيما"[٢].
وقال ابن كثير: **"ذكر أهل الكتاب أنه (أي إبراهيم عليه السلام) لما قدم الشام أوحى الله إليه إني جاعل هذه الأرض لخلفك من بعدك، فابتنى إبراهيم مذبحا شكرا لله على هذه النعمة، وضرب قبة شرق بيت المقدس"[٣].**

---

[١] انظر البداية والنهاية (١/١٤١-١٤٥) وانظر (موسوعة التاريخ الإسلامي) د.أحمد شلبي ج١.
[٢] مجموع الفتاوى (١٧/٣٥١).
[٣] البداية والنهاية (١/١٤٢).

قال صاحب تفسير التحرير والتنوير: "إبراهيم عليه السلام لما سكن أرض كنعان نصب خيمة في الجبل شرقي بيت إيل، وبنى هناك مذبحاً للرب، وأهل الكتاب يطلقون المذبح على المسجد، لأنهم يذبحون القرابين في معابدهم. ومسجد إبراهيم هذا هو الموضع الذي توخى داود أن يضع عليه الخيمة وأن يبني عليه محراباً أو أُوحي إليه بذلك، وهو الذي أوصى ابنه سليمان عليه السلام أن يبني عليه المسجد، أو الهيكل"[1] ، ثم قال ابن عاشور: " وقد ذكر مؤرخو العبرانيين ومنهم (يوسيفوس) أن الجبل الذي سكنه إبراهيم بأرض كنعان اسمه (نابو) وهو الجبل الذي ابتنى عليه سليمان الهيكل فيما بعد، وهو الذي به الصخرة".
إذن ، يفهم من هذه النصوص والنقول أن أرض المسجد الأقصى هي بعينها الأرض التي كان يسميها أهل الكتاب — قبل الإسلام — أرض الهيكل، والجبل نفسه الذي يسميه أهل الكتاب — قديماً وحديثاً — (جبل الهيكل) هو ذاته الجبل الذي يقوم عليه المسجد الأقصى وهو الجبل المسمى: جبل (نابو) أو (نيبو).

وعاش إسحاق بن إبراهيم — عليهما السلام — في أرض فلسطين ورزقه الله سبحانه يعقوب عليه السلام (إسرائيل) والذي يعتبره اليهود أباهم، وكان إسحاق ويعقوب منارات للهدى بعد إبراهيم عليه السلام ، وانظر إلى البيان القرآني في إيجازه وروعته ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلةً وكلاً جعلنا صالحين، وجعلناهم أئمةً يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعلَ الخيراتِ، وإقامَ الصلاةِ وإيتاءَ الزكاةِ وكانوا لنا عابدين**﴾[الأنبياء:٧٢-٧٣].

ولد يعقوب عليه السلام في القرن ١٨ ق.م (حوالي ١٧٥٠ق.م) في فلسطين، غير أنه هاجر على ما يظهر إلى حران "الرها" وهناك وُلد له أحد عشر ابناً منهم يوسف عليه السلام بينما ولد ابنه الثاني عشر بنيامين في أرض كنعان "فلسطين" وقد رجع يعقوب عليه السلام وأبناؤه إلى فلسطين

---

[1] التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٥/١٦).

وسكن عند "سعيّر" قرب الخليل، وقصته وقصة ابنه يوسف مشهورة ومفصلة في سورة يوسف من القرآن الكريم.

وفي عهد يعقوب عليه السلام أعيد بناء المسجد الذي كان إبراهيم عليه السلام قد اتخذه قبة يتعبد فيها، وذلك أنه كان قد حدث شيء من الخلاف بين ولدي إسحاق (يعقوب وعيصو)، وتوعد عيصو أخاه يعقوب بالأذى في قصة ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية[١]

:"فأمرت زوجة إسحاق ابنها يعقوب أن يذهب إلى أخيها (لابان) الذي بأرض حران، وأن يكون عنده إلى حين يسكن غضب أخيه، وأن يتزوج من بناته .. فخرج يعقوب عليه السلام من عندهم من آخر ذلك اليوم، فأدركه المساء في موضع فنام فيه فأخذ حجراً فوضعه تحت رأسه ونام ، فرأى في نومه[٢] ذلك معراجاً منصوباً من السماء إلى الأرض، وإذا الملائكة يصعدون فيه ويترلون فلما هب من نومه فرح بما رأى،ونذر لله لئن رجع إلى أهله سالماً ليبنين في هذا الموضع معبداً لله عز وجل وأن جميع ما يرزقه من شيء يكون له عشره، ثم عمد إلى ذلك الحجر فجعل عليه دهناً يتعرفه به،وسمى ذلك الموضع (بيت إيل) أي بيت الله،وهو موضع بيت المقدس اليوم، الذي بناه يعقوب عليه السلام بعد ذلك"[٣].

ويذكر ابن كثير أن يعقوب عليه السلام لما عاد من رحلته التي أمرته بها أمه، وكان الله –تعالى– قد فتح عليه بمال وثروة عظيمة – مر على قرية أورشليم –قرية شخيم– فترل قبل القرية واشترى مزرعة كبيرة بمائة نعجة، فضرب هنالك فسطاطه وابتنى ثَم مذبحاً فسماه (إيل إله إسرائيل)، وأمره الله ببنائه ليستعلن له فيه، ثم قال ابن كثير: "وهو بيت المقدس الذي جدده بعد ذلك سليمان بن داود –عليهما السلام– وهومكان الصخرة التي أعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك كما ذكرنا"[٤]

---

[١] والقصة موجودة في التوراة –سفر التكوين– الإصحاح ٢٧.

[٢] ورؤيا الأنبياء حق. والمعراج هو ما يصعد عليه ويرتقى به.

[٣] البداية والنهاية (١/١٨٢).

[٤] نفس المصدر (١/١٨٤).

وعلى كل حال، يظهر أن يوسف وإخوته أبناء يعقوب "إسرائيل" نعموا بحرية العمل والعبادة في مصر وكان لهم دورهم في الدعوة إلى التوحيد، غير أن الأمر لم يستمر على حاله في أجيالهم المتعاقبة، فوقع بنو إسرائيل تحت الاضطهاد الفرعوني حتى أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون لإخراج بني إسرائيل منها إلى الأرض المقدسة .

الأرض المقدسة في عهد موسى عليه السلام

تعاقبت السنون ومرت القرون ومكان (بيت إيل) مقدس لدى المؤمنين من بني إسرائيل. وقد كان بنو إسرائيل في تلك الفترة هم أهل الحق وحملة راية التوحيد، وكان فرعون مصر في ذلك الزمان متكبراً متعجرفاً يدعي الألوهية، وكان مفسداً يضطهد بني إسرائيل فيذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم **﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبنائهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾** [القصص:٤]، وقد وُلد موسى عليه السلام في هذا الجو وتربى في بيت فرعون في تدبير رباني محكم، وقصة موسى ونشأته ودعوته لفرعون وخروجه ببني إسرائيل وهلاك فرعون أشهر من أن تروى.

قدر الله سبحانه أن يعطي تلك الفئة المؤمنة في ذلك الزمان أرض فلسطين **﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استُضعِفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين،ونُمكن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾** [القصص:٥،٦].

وأُرسل موسى عليه السلام إلى فرعون بهذا الأمر، يعاونه في ذلك أخوه هارون الذي بعث رسولاً أيضاً **﴿وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين، حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل﴾** [الأعراف:١٠٤،١٠٥]،

غير أن فرعون يأبى ويتكبر ولا يؤمن بالآيات والمعجزات التي جاء بها موسى، ويؤمن السحرة الذين حشدهم فرعون بدعوة موسى، ويسقط في يد فرعون، ويبدو أن الذين أظهروا إيمانهم وانضموا إلى بني إسرائيل كانوا عددا محدودا من أولاد وفتيان بني إسرائيل وكان إيمانهم مقرونا بخوف من أن يفتنهم فرعون **﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئه أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين﴾** [يونس:٨٣] (والأظهر أن هؤلاء قلة من المصريين) ثم إن موسى عليه السلام قاد من آمن من قومه شرقا فأتبعهم فرعون وجنوده، وحدثت قصة انشقاق البحر وإنقاذ الله سبحانه لبني إسرائيل وهلاك فرعون وجنوده **﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وأزلفنا ثم الآخرين، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين﴾** [الشعراء:٦٣-٦٦].

وبعد إنقاذ الله سبحانه لبني إسرائيل تبرز فصول معاناة موسى وهارون معهم، ويظهر من صفات هؤلاء ضعف الإيمان والجهل والجبن، فما كادوا يخرجون من البحر حتى أتوا على قوم يعبدون أصناما، **﴿ قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾**!!![الأعراف:١٣٨]، ثم عندما يذهب موسى لميقات ربه يعبد قومه العجل رغم وجود هارون بينهم !! **﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار﴾** [الأعراف:١٤٨] ، **﴿ فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾** [طه:٨٨] ، وكادوا يقتلون هارون عندما نهاهم عن كفرهم وهو الذي قال لأخيه موسى **﴿إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ﴾** [الأعراف:١٥٠]وغيرها من المواقف.

ثم يقود موسى بني إسرائيل باتجاه الأرض المقدسة ويقول لهم **﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾** [المائدة:٢١]، ولكنهم يختارون الارتداد على أدبارهم، **﴿ قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴾** [المائدة:٢٢]، ولا ينفع فيهم

النصح فيكررون ، **﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾** [المائدة:٢٤]، ويعلق سيد قطب رحمه الله على موقف بني إسرائيل هذا فيقول :"إن جبلة يهود لتبدو هناك على حقيقتها، مكشوفة بلا حجاب ولو رقيق من التجمل، إن الخطر ماثل قريب، ومن ثم لا يعصمهم منه حتى وعد الله لهم بأنهم أصحاب الأرض، وأن الله قد كتبها لهم، فهم يريدونه نصراً رخيصاً، لا ثمن فيه، ولا جهد فيه، نصراً مريحاً يتنزل عليهم تنزل المن والسلوى" . . "وهكذا يخرج الجبناء فيتوقحون، ويفزعون من الخطر أمامهم، هكذا في وقاحة العاجز لا تكلفه وقاحة اللسان إلا مد اللسان"، **﴿فأذهب أنت وربك ﴾**! فليس بربهم إذا كانت ربوبيته ستكلفهم القتال، **﴿إنا ها هنا قاعدون﴾**، لا نريد ملكاً، ولا نريد عزاً، ولا نريد أرض الميعاد، ودونها لقاء الجبارين، هذه هي نهاية المطاف بموسى عليه السلام ، نهاية الجهد الجهيد، والسفر الطويل، واحتمال الرذالات والانحرافات والالتواءات من بين إسرائيل !.

وتوفي موسى عليه السلام قبل أن يستطيع دخول الأرض المقدسة، وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال **"إن موسى عندما حان أجله قال رب أدنني من الأرض المقدسة رمية حجر**، قال رسول الله ﷺ **"والله لو أني عنده لأريتكم مكان قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر"**.

دخول بني إسرائيل أرض فلسطين

وبعد أن نشأ جيل صلب جديد وبعد سنوات التيه قاد بني إسرائيل نبي لهم هو يوشع بن نون ﵇ ويسميه اليهود "يشوع" وهو الذي عبر بهم نهر الأردن وانتصر على أعدائه واحتل مدينة أريحا، وكان عبوره نهر الأردن حوالي ١١٩٠ ق.م ثم غزا "عاي" بجوار رام الله، وحاول فتح القدس ولكنه لم يستطع، وكان عدد اليهود قليلاً بحيث يصعب عليهم الانتشار واحتلال كافة المناطق والسيطرة عليها. ومما نعلمه عن يوشع من حديث رسول الله ﷺ أن يوشع التقى أعداءه في معركة طالت حتى كادت الشمس تغيب فدعا الله ألا تغيب الشمس حتى تنتهي المعركة وينتصر فاستجاب الله لدعوته فأخر غروب الشمس حتى انتصر يوشع.

وبعد يوشع ﵇ تولى قيادة اليهود زعماء عرفوا "بالقضاة" وعرف عصرهم ب"عصر القضاة" وعلى الرغم من محاولاتهم إصلاح قومهم فقد ساد عصرهم الذي دام حوالي ١٥٠ سنة، الفوضى والنكبات والخلافات والانحلال الخلقي والديني بين بني إسرائيل، وقد استوطنوا في تلك الفترة في الأراضي المرتفعة المحيطة بالقدس وفي السهول الشمالية في فلسطين.

ولما شعر بنو إسرائيل بحالهم المتردي طلب الملأ منهم من نبي لهم (يقال ان اسمه صموئيل) أن يبعث عليهم ملكاً يقاتلون تحت رايته في سبيل الله، ولكن نبيهم الذي يعرف طباعهم قال لهم **﴿ هل عسيتم إن كُتب عليكُمُ القِتالُ ألا تُقاتِلوا، قالوا وما لنا ألا نُقَاتِلَ في سَبيلِ الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائِنا فَلما كُتبَ عليهمُ القتال تَولوا إلا قليلاً منهم﴾** [البقرة:٢٤٦]وأخبرهم نبيهم أن الله قد بعث عليهم طالوت ملكاً فاعترضوا بأنهم أحق بالملك منه وأنه **﴿لم يؤتَ سَعَةً مِنَ المال﴾** [البقرة:٢٤٧]، فأخبرهم نبيهم أن الله اصطفاه عليهم وزاده بسطة في العلم والجسم.

وتولى القائد المؤمن طالوت الملك على بني إسرائيل، وكان ذلك حوالي سنة ١٠٢٥ق.م، وتسميه الروايات الإسرائيلية "شاؤول" وتَساقط أتباعه في الاختبار عندما ابتلاهم الله بنهر الأردن ومنعهم من الشرب منه **﴿إلا من اغترفَ غُرفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنه إلا قليلاً مِنهُم﴾** [البقرة:٢٤٩]، ثم تساقط الكثير من القليل الذي بقي في الاختبار التالي عندما رأوا جالوت وجنوده فقالوا **﴿لا طاقةَ لنا اليومَ بجالوتَ وجُنُوده﴾** [البقرة:٢٤٩]، ولم تثبت في النهاية إلا ثلة قليلة مؤمنة أعطاها الله سبحانه النصر وقتل داود عليه السلام — وكان فتى — في هذه المعركة جالوت بالمقلاع.

نشأة مملكة بني إسرائيل:

وينفتح فصل جديد في تاريخ بني إسرائيل وفي انتشار وسيطرة دعوة التوحيد على الأرض المباركة وذلك بتولي داود عليه السلام الملك بعد طالوت سنة ١٠٠٤ ق.م، ويعتبر داود عليه السلام المؤسس الحقيقي لمملكة بني إسرائيل في فلسطين، فقد قضى اليهود الفترة التي سبقت داود دون أن يملكوا سوى سلطان ضئيل في أجزاء محدودة من فلسطين ودون أن يستطيعوا أن يكونوا سادتها، ومضى جميع عصر القضاة في القتال الجزئي بجماعات صغيرة وذلك بأن تدافع كل جماعة (قبيلة) بمشقة عن قطعة الأرض التي استولت عليها.

ولد داود عليه السلام في بيت لحم، واستمر حكمه أربعين عاماً تقريباً (١٠٠٤-٩٦٣ ق.م) وكانت عاصمة حكمه في البداية مدينة "الخليل" حيث مكث فيها سبع سنوات، ثم إنه فتح القدس حوالي سنة ٩٩٥ ق.م فنقل عاصمته إليها. وواصل حربه ضد الأقوام الكافرة

في الأرض المقدسة حتى تمكن من إخضاعهم سنة ٩٩٠ ق.م تقريباً، وأجبر دمشق على دفع الخراج وأخضع المؤابيين والأيدوميين والعمونيين.

لما فتح داود ﷺ مدينة القدس، أعد بها مساحة منبسطة فسيحة ليشيد عليها الهيكل المقدس ، وجهز المواد اللازمة للبناء، ولكنه أحس أن الأجل لن يمهله حتى يكمل بناء المسجد ، فعهد إلى ابنه سليمان بأن يتم بناءه، فجمع له من الذهب والفضة والأحجار الكريمة الشيء الكثير.

وهذا يفسر لنا لماذا اتخذ اليهود النجمة السداسية شعاراً وسموها باسم داود، إنما تمثل — على بعض الآراء — قاعدة الهيكل الذي نوى داود أن يقيمه[١].

القدس في عهد سليمان عليه السلام:

وورث سليمان ﷺ أباه داود في العلم والحكم والنبوة، وتشير الروايات إلى أن سليمان كان واحداً من ١٩ ابناً لداود، وأن سليمان وُلد في القدس، وأن حكمه في الأرض المباركة استمر حوالي أربعين عاماً (٩٦٣-٩٢٣ق.م).

وقد وهب الله سبحانه سليمان ملكاً لا يحصل لأحد بعده فقد سخر الله له الجن لخدمته كما سخر له الريح تجري بأمره، واشتهر سليمان بحكمته وعدله وقوة سلطانه، كما علمه الله لغة الطير والحيوانات.

وذكر المفسرون أنه غاب عن سرير ملكه أربعين يوماً، ثم عاد إليه، ولما عاد شرع في بناء الهيكل المقدس بناءاً محكماً. وتورد المراجع اليهودية وصفاً مفصلاً عن معبد سليمان بما

---

[١] لأن الهيكل في الأصل بني على هيئة خيمة الاجتماع، ولو وصلت رؤوس النجمة السداسية لكونت خيمة سداسية الأضلاع.

يحوي من أروقة وبيوت وخزائن وغرف وأمتعة وموائد وكؤوس وأقداح ومذابح ، بما يلائم نبياً ملكاً أوتي من كل شيء، وسخر الله له معالم الطبيعة.

قال ابن كثير: "وكان سؤال سليمان ﷺ الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده، بعد إكمال بناء بيت المقدس، كما يتضح ذلك من الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، بأسانيدهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ : "**إن سليمان لما بنى بيت المقدس، سأل ربه ﷻ خلالاً ثلاثاً فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة ، سأله: حكماً يصادف حكمه، فأعطاه الله إياه، وسأله حكما لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه الله إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فنحن نرجوا أن يكون الله قد أعطانا إياها**"[1].

لقد كان ملك سليمان بحد ذاته معجزة ربانية أعطاها الله له دلالة على نبوته، وقد نعمت فلسطين بهذا الحكم الإيماني المعجزة الذي تدعمه قوى الجن والإنس والطير والريح، وكرم الله سليمان بمعجزة إسالة النحاس له حتى كان يجري كأنه عين ماء متدفقة من الأرض، وشهدت مملكة سليمان حركة بناء وعمران ضخمة، كما امتد نفوذه ليصل مملكة سبأ في اليمن.

---

[1] البداية والنهاية (٢٦/١) والحديث في مسند أحمد، والنسائي مساجد(٦)، وسنن ابن ماجه، إقامة (١٩٦)

مملكتا إسرائيل ويهوذا:

استمر حكم داود وسليمان حوالي ثمانين عاماً وهو العصر الذهبي الذي حُكمت فيه فلسطين تحت راية التوحيد والإيمان قبل الفتح الإسلامي لها.
وبعد وفاة سليمان انقسمت مملكته إلى قسمين شكّلا دولتين منفصلتين متعاديتين في كثير من الأحيان، وعانتا من الفساد الداخلي والضعف العسكري والسياسي والنفوذ الخارجي، فعند وفاة سليمان اجتمع ممثلو قبائل بني إسرائيل الأثني عشرة في شكيم "قرب نابلس" لمبايعة رحبعام بن سليمان، ولكن ممثلي عشر قبائل اتفقوا على عدم مبايعته لأنه لم يعدهم – حسب الروايات – بتخفيف الضرائب، وانتخبوا بدلاً منه "يربعام" من قبيلة أفرايم ملكاً وأطلقوا اسم "**إسرائيل**" على مملكتهم وعاصمتهم شكيم (ثم ترزة ثم السامرة)، أما قبيلتا يهوذا وبنيامين فقد حافظتا على ولائهما لرحبعام بن سليمان وكونتا تحت حكمه مملكة "**يهوذا**" وعاصمتها القدس.

أما مملكة "إسرائيل" فقد استمرت خلال الفترة ٩٢٣ – ٧٢١ ق.م، وقد سمتها دائرة المعارف البريطانية ازدراءً "**المملكة الذيلية**"، وقد خسرت بسبب غزة الدمشقيين كل الأراضي الواقعة شرقي الأردن وشمال اليرموك، كان "عمري" أشهر ملوك مملكة إسرائيل ٨٨٥ –٨٧٤ ق.م بنى السامرة وجعلها عاصمته، أما خليفته "آخاب" ٨٧٤-٨٥٢ ق.م فقد سمح لزوجته "إيزابل" بنت ملك صيدا وصور بفرض عبادة الإله الفينيقي "بعل" مما أدى إلى ثورة قام بها أحد الضباط واسمه "ياهو" أطاحت بآخاب وأعاد عبادة "يهوه". وفي عهد "يربعام الثاني" ٧٨٥-٧٤٠ق.م وهو الثالث من سلالة ياهو توسعت مملكته شمالاً على حساب الأراميين، لكن ذلك لم يستمر طويلاً إذ أدى ظهور الملك الآشوري تجلات بلسر الثالث ٧٤٥-٧٢٧ ق.م إلى الحد من هذا التوسع، وقام خليفته شلمنصر الخامس، ومن بعده سرجون الثاني بتأديب هوشع آخر ملوك "إسرائيل" وقضى على دولته سنة ٧٢١

ق.م، وقام الآشوريون بنقل سكان إسرائيل إلى حران والخابور وكردستان وفارس وأحلوا مكانهم جماعات من الآراميين، ويظهر أن المنفيين الإسرائيليين اندمجوا تماماً في الشعوب المجاورة لهم في المنفى فلم يبق بعد ذلك أثر للأسباط العشرة من بني إسرائيل.

أما مملكة "يهوذا" ٩٢٣ — ٥٨٦ ق.م فحسب الروايات الإسرائيلية (وهي تؤخذ بتفحص وحذر، حيث لا يوجد بين أيدينا ما ينفي أو يثبت الكثير مما فيها) فقد انتشرت في حكم يربعام بن سليمان ٩٢٣ — ٩١٦ ق.م العبادة الوثنية وفسدت أخلاق القوم بشيوع اللواط، وعندما خلفه ابنه "أبيام" ٩١٣ ق.م بقيت الأخلاق فاسدة، وعندما حكم "يهورام بن يهوشفاط" ٨٤٩-٨٤٢ ق.م أخوته الستة مع جماعة من رؤساء القوم، أما يوحاز بن يوتام ٧٣٥-٧١٥ق.م فيذكر أنه علق قلبه بحب الأوثان حتى إنه ضحى بأولاده على مذابح الآلهة الوثنية وأطلق لنفسه عنان الشهوات والشرور، وأضل منسي بن حزقيا الذي حكم ٦٨٧-٦٤٢ ق.م قومه عن عبادة الله وأقام معابد وثنية .

ويظهر أن مملكة يهوذا قد اعترتها عوامل الضعف والوقوع تحت النفوذ الخارجي فترات طويلة، فقد هوجمت مرات عديدة وهزمت ودخل المهاجمون القدس نفسها، كما فعل شيشق فرعون مصر عندما دخل القدس واستولى على ما فيها (أواخر القرن ١٠ ق.م)، وهاجم الفلسطينيون والعرب القدس في عهد يهورام ٨٤٩ — ٨٤٢ ق.م فدخلوها واستولوا على قصر يهورام وسبوا بنيه ونساءه، أما الملك حزقيا ٧١٥ —٦٨٧ ق.م فقد اضطر لإعلان خضوعه التام لملك الآشوريين سرجون الثاني بعد أن أسقط مملكة "إسرائيل"، ودفع منسي بن حزقيا الجزية لــ"أسرحدون" و"آشور بانيبال" ملكي آشور، وقد قيد الآشوريون هذا الملك بسلاسل من نحاس وذهبوا به إلى بابل ثم عاد للقدس وبها مات، وأيام حكم "يوشيا بن آمون" ٦٤٠ — ٦٠٩ ق.م تقدم "نخاو" بعد أن حكم ثلاثة أشهر، وأرسله لمصر أسيراً حيث مات هناك، ووضع مكانه "يهوياقيم بن يوشيا" ٦٠٩-٥٩٨ ق.م وقد أرهق هذا الحاكم الشعب بالضرائب ليدفع الجزية لسيده المصري ورجع إلى عبادة الأوثان، وفي أيام يهوياقيم هزم "بختنصر" البابلي "نخاو" المصري شمال سوريا

سنة ٦٠٥ ق.م وزحف إلى أن وصل للقدس وأخضع يهوياقيم وأذله وأدخل البلد تحت نفوذه، ولما ثار يهوياقيم على بختنصر دخل الأخير وجيشه القدس وقيد يهوياقيم بسلاسل من نحاس حيث مات بعد مدة .

وعندما حكم يهوياكين ٥٩٨-٥٩٧ ق.م حاصر بنوخذ نصر "بختنصر" القدس وأخذ الملك مع عائلته ورؤساء اليهود وحوالي عشرة آلاف من سكانها (فيما يعرف بالسبي الأول) وبعض خزائن الهيكل إلى بابل، ثم إن بختنصر عيّن صدقيا بن يوشيا ٥٩٧-٥٨٦ ق.م حيث أقسم له يمين الولاء، غير أن صدقيا في آخر حكمه ثار على البابليين الذين ما لبثوا أن زحفوا للقدس وحاصروها ١٨ شهراً حتى أسقطوها، وأخذ صدقيا أسيراً وربط بالسلاسل من نحاس وسيق إلى بابل، حيث يذكر أنه قتل أبناؤه أمامه وسملت عيونه، وخرب نبوخذ نصر القدس ودمر الهيكل ونهب الخزائن والثروات، وجمع حوالي ٤٠ ألفاً من اليهود وسباهم إلى بابل "السبي البابلي الثاني" وهاجر من بقي من يهود إلى مصر ومنهم النبي إرمياه، وبذلك سقطت مملكة يهودا ٥٨٦ ق.م .

تداول الهيمنة الفارسية والإغريقية والرومانية على فلسطين:

عاش اليهود بعد سقوط ملكهم في فلسطين مرحلة "السبي البابلي" في العراق، وهي الفترة التي يظهر أنهم بدأوا فيها بتدوين التوراة، أي بعد ما لا يقل عن سبعمائة سنة من ظهور موسى عليه السلام ، ولم ينتهوا من تدوينها إلا أواخر القرن الثاني ق.م (بعد أكثر من أربعمائة سنة) وخلال هذه الفترة كان اليهود قد تركوا الالتزام بدينهم وقلدوا الدول التي يعيشون فيها بعبادة الأوثان".

ولاحت الفرصة لليهود للعودة مرة أخرى إلى فلسطين عندما أسقط الإمبراطور الفارسي قورش الثاني الدولة البابلية الكلدانية ٥٣٩ ق.م بمساعدة يهودية، وانتصر على ميديا،

ومد نفوذه إلى فلسطين التي دخلت في عصر السيطرة الفارسية ٥٣٩ – ٣٣٢ ق.م فقد سمح قورش بعودة اليهود إلى فلسطين كما سمح لهم بإعادة بناء الهيكل في القدس، غير أن القليل من اليهود انتهزوا الفرصة لأن الكثير من السبي أعجبتهم الأرض الجديدة، ولكن القلة المتشددة التي عارضت الاندماج حفظت بني إسرائيل من الاندثار، ويذكر أحد المؤرخين أن عدد الراجعين كانوا ٤٢ ألفاً وهم أقلية بالنسبة للعدد الحقيقي. وقام هؤلاء اليهود ببناء الهيكل حيث اكتمل بناؤه في ٥١٥ ق.م. وفي منطقة القدس تمتع اليهود بنوع من الاستقلال الذاتي تحت الهيمنة الفارسية، وهو حكم لم يكن يتجاوز نصف قطره عشرين كيلومتراً في أي اتجاه .

وفي سنة ٣٣٢ ق.م احتل الإسكندر المقدوني فلسطين في إطار حملته الشهيرة التي احتل خلالها بلاد الشام ومصر والعراق وإيران وأجزاء من الهند. وقد ترك الاسكندر اليهود دون أن يمسهم، ومنذ ذلك التاريخ دخلت فلسطين في عصر السيطرة الهللينية الإغريقية الذي استمر حتى سنة ٦٣ ق.م .

فبعد موت الإسكندر نشب نزاع بين قادته أدى إلى توزيع مملكته بينهم فكانت فلسطين (وباقي سوريا المجوفة من جنوب اللاذقية ولبنان وأجزاء من سوريا كدمشق ومصر وبرقة (ليبيا) وبعض جزر البحر الإيجي من نصيب القائد بطليموس، وسمي حكمه وحكم خلفائه من بعده بـــ"عصر البطالمة" وقد استمر في فلسطين من ٣٠٢ — ١٩٨ق.م، وقد عطف البطالمة على اليهود الذين كان يدير شؤونهم "الكاهن الأكبر". ثم إن السلوقيين (الذين كان نصيبهم بعد وفاة الإسكندر سوريا الشمالية وآسيا الصغرى والرافدين والهضبة الإيرانية) استطاعوا السيطرة على فلسطين إثر معركة "بانيون" التي حقق فيها الملك السلوقي انطيوخس الثالث نصراً كاملاً على البطالمة، وقد استمرت سيطرة السلوقيين على فلسطين حتى ٦٣ ق.م .

وقد حاول السلوقيون صبغ اليهود بالصبغة الهللينية الإغريقية، فحاول انطيوخس الرابع صرف اليهود عن دينهم وأرسل سنة ١٦٧ ق.م أحد قادته وكلفه إلغاء الطقوس الدينية اليهودية والاستعاضة بالإله ريوس الأوليمبي عن الإله يهوه، وعيّن لهم كاهناً إغريقياً وثنياً في القدس، وحرّم الختان واقتناء الأسفار المقدسة وأوجب أكل لحم الخنزير، وبموجب هذه الأوامر انقسم اليهود إلى قسمين: قسم انفصل عن الشريعة مقتنعاً أو مكرهاً وهم "المتهلنون"أو "المتأغرقون" وأقاموا في القدس والمدن الإغريقية وقسم آخر أقل عدداً هربوا من القدس وأطلق عليهم أسم حزب **القديسيين**.

وبشكل عام تأثر اليهود بالإغريقية فحلت الآرامية محل العبرية وأصبحت اليونانية لغة الطبقة المثقفة، ونشأ في اليهود جماعة تناصر اليونانيين تمكنوا من الوصول للحكم بقيادة كبير الكهنة "جيسون" .

أما الذين هربوا من القدس "حزب القديسيين" فقد اعتمدوا لقيادتهم متاثياس (متابيبه) كبير عائلة الأشمونيين والذي مات بعد فترة قصيرة، فخلفه ابنه يهوذا الملقب **"المكابي"** أي المطرقة، وقد ثار على السلوقيين وانتصر عليهم أكثر من مرة ١٦٦ —١٦٥ ق.م وانضم إليه قسم كبير من المترددين اليهود، وهذا دفع انطيوخس الرابع لإيقاف اضطهاد اليهود فسمح لهم بممارسة دينهم جنباً إلى جنب مع أنصار التأغرق. وعاد "المكابيون" إلى القدس في ٢٥ كانون ثاني/ يناير ١٦٤ ق.م وما زال اليهود يحتفلون بهذه المناسبة تحت اسم عيد الأنوار "حانوكا" .

تأسس لليهود بعد ذلك حكم ذاتي في القدس أخذ يتسع أو يضيق وتزداد مظاهر استقلاله أو تضعف حسب صراع القوى الكبرى على فلسطين (الرومان — البطالمة — السلوقيين ...)، وأصبح الحكم وراثياً في ذرية يهودا المكابي، وقد حكم المكابيون كـ"كبار كهنة" وسرعان ما سموا أنفسهم ملوكاً رغم أنهم كانوا تابعين ويدفعون الخراج للسلوقيين. وفي

سنة ١٤٣ ق.م أعفى الإمبراطور ديمتروس الثاني اليهود من الضرائب، وأعطى لقب حاكم لـ"سيمون" واتفق اليهود على اعتباره ملكهم وبذلك تأسس حكم ملكي اعترف به السلوقيون الذين "أعطوا" سيمون أيضاً حق صك النقود .

وفي عهد "الملك" اليهودي الكسندر جانيوس ١٠٣-٧٦ق.م شمل حكمه شرق الأردن الذي سماه اليهود بيريا وتوغل إلى الساحل أيضاً وكادت حدود مملكته تلامس حدود مملكة سليمان. وقد حكمت بعده أرملته سالوم الكسندرا حتى ٦٧ ق.م، ثم تخاصم أبناها على الحكم وتدخل العرب الأنباط في مساعدة هيركانوس الثاني ضد أخيه أريستوبولوس. وفي سنة ٦٣ ق.م قضى القائد الروماني الشهير بومبي على "الدويلة" اليهودية، ونصّب هيركانوس الثاني كبيراً للكهنة، وحطم أسوار القدس، وبتر الأجزاء الأخرى من أيدي اليهود، وأبقى على استمرار الأسرة المكابية في ظل الرومان .

وفي الفترة ٤٧-٤٠ ق.م دخلت "المستعمرة" تحت سيطرة حاكم أيدومية "انتي بيتر" وفي ٤٠ ق.م هاجم الفرس فلسطين ونصبوا "أنتي جونوس" أخو هركانوس الثاني حاكماً وكبيراً للكهنة، استمر حكم "أنتي جونوس" ثلاث سنوات وكان هو آخر حكام الأسرة المكابية، وفي سنة ٣٧ ق.م انتصر الرومان على الفرس. واستعادوا السيطرة على فلسطين ونصبوا **"هيرودس"** ابن أنتي بيتر حاكماً، ورغم أن "هيرودس" قد تهوّد وحاول استرضاء اليهود إلا أنه كان مبغوضاً من قبلهم، وكان هو بشكل عام طاغية ظالماً شديد الولاء للرومان. وقد قام بتجديد الهيكل فضاعف مساحته ورفع سطحه وجعله على جانب عظيم من الإتقان والهندسة .

استمر حكم هيرودس حتى سنة ٤ ق.م وعاصره من الأنبياء زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، كما عاصرته مريم بنت عمران عليها السلام، وفي آخر أيامه ولد المسيح عليه السلام .

كان زكريا عليه السلام يعمل نجاراً، وقد تولى كفالة مريم بنت عمران، ورزقه الله سبحانه — بعد أن بلغ الكبر وكانت امرأته عاقراً — ولداً هو يحيى عليه السلام ، وكان لزكريا ويحيى جهود كبيرة في دعوة بني إسرائيل للهداية الحق .
وقد دفع يحيى عليه السلام حياته ثمناً لموقفه الصلب من رغبة هيرودس بالزواج من ابنة أخيه (وقيل ابنة أخته) حين أنكر ذلك، وكانت هذه الفتاة واسمها (هيروديا) بارعة الجمال، فحقدت أم الفتاة والفتاة على يحيى، وتزينت البنت ودخلت على هيرودس فرقصت أمامه حتى ملكت مشاعره، فطلب منها أن تتمنى فتمنت رأس يحيى!! فاستجاب لها وقتل يحيى وقدم رأسه على طبق هدية لهذه الفاجرة!! ﴿ **وسلام عليه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يُبعث حياً** ﴾ [مريم:١٥].

ولم يكتف هيرودس بجريمته هذه إذ أنه قتل زكريا عليه السلام أيضاً حيث نشره بالمنشار!! لأنه دافع عن ابنه يحيى وعارض صحة الزواج لمانع القرابة .

أما مريم — سيدة نساء العالمين — عليها السلام فقد وُلِدَت قبل يَحيى عليه السلام ، وكانت أمها قد نذرتها وهي جنين في بطنها في سبيل الله. وقدر الله سبحانه أن يجري معجزاته العظيمة بأن تلد مريم ابنها المسيح من دون أب وأن يتم ذلك بكلمة من الله.
وهناك في الأرض المباركة فلسطين قام عيسى عليه السلام بواجب الدعوة إلى الله وبذل جهوداً كبيرة في هداية بين إسرائيل، وبشرهم بقدوم خاتم الأنبياء محمد ﷺ ﴿ **ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ [الصف:٦]وعلى الرغم من المعجزات التي أجراها الله على يديه وما تضمنته رسالته من حق ونور إلا أن بني إسرائيل جحدوا وأنكروا وناصبوه العداء،ولم يؤمن به إلا عدد ضئيل .
وقد حقد اليهود والوجهاء على المسيح، وفي إنجيل لوقا (٤٧/١٩) "وكان يعلم كل يوم في الهيكل وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجود الشعب يطلبون أن يهلكوه"، وسارع

مجلس اليهود الديني "السنهدرين" إلى الاجتماع وقرر القبض على المسيح وأصدر في الحال حكماً بإعدامه بتهمة التجديف والخروج عن الدين .

ثم إنهم ساقوه إلى الوالي الروماني — في ذلك الوقت — بيلاطس البنطي الذي يحق له وحده تنفيذ الإعدام، و لم يجد هذا جرماً من المسيح يوجب قتله فقامت قيامة اليهود، وأخذوا يصرخون بصوت واحد، اصلبه، اصلبه "دمه علينا وعلى أولادنا". وقد اضطر كارهاً إلى الموافقة على إعدامه، غير أن الله سبحانه أدركه برحمته فرفعه إليه في الوقت الذي ظن فيه اليهود أنهم قتلوه ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . . بل رفعه الله إليه** ﴾ [النساء:١٥٧،١٥٨] .
وطويت هذه الصفحة من تاريخ الصراع بين الحق والباطل على الأرض المقدسة، فقد كذب بنو إسرائيل بآخر بني أرسل إليهم واتهموه بالسحر وتآمروا عليه.

نهاية الوجود اليهودي في فلسطين

ونعود مرة أخرى لنرى أحوال بني إسرائيل في فلسطين بعد صعود المسيح، فقد كان الرومان قد بدأوا حكماً مباشراً على القدس وباقي فلسطين منذ ٦ م، بعد أن خلعوا أرخيليوس الذي خلف أباه هيرودس لسوء حكمه، وفي عهد واليهم بيلاطس البنطي ٢٦-٣٦ م حدثت وقائع السيد المسيح عليه السلام . وقد ثار اليهود على حكم الرومان في نوفمبر ٦٦م في عهد الإمبراطور نيرون واستطاع القائد العسكري الروماني تيتوس (أو طيطس) إخماد هذه الثورة في سبتمبر ٧٠م — بعد أن استمرت أربع سنوات — فدخل القدس بعد حصار شديد وأعمل القتل والنهب والحرق، ودمر الهيكل الذي بناه هيرودس حتى لم يبق حجر على حجر وأصبحت مدينة القدس قاعاً صفصفاً، وبيع كثير من الأسرى عبيداً في

أسواق الإمبراطورية الرومانية بأبخس الأثمان، وكانت أمنية اليهودي أن يشتريه من يرفق به فلا يرسله إلى حلقة المصارعة مع الوحوش التي اعتاد الرومان التلذذ بمنظرها وهي تلتهم الناس!! وبنى هذا القائد قوساً في روما بمناسبة نصره على اليهود وهو لا يزال قائماً إلى الآن وعليه نقوش ذكرى ذلك الانتصار، ويُرى فيه الشمعدان ذو الرؤوس السبعة المشهور عند اليهود والذي أخذه من الهيكل .

ثار اليهود مرة أخرى على الرومان بقيادة **باركوخبا** واسمه الأصلي "سيمون" واستمرت ثورتهم ثلاث سنوات ١٣٢-١٣٥م، واجتمع تحت لوائه عدد كبير من اليهود واستطاع احتلال القدس، غير أن الإمبراطور الروماني **هدريان** أرسل جيشاً كبيراً بقيادة جوليوس سيفروس الذي احتل القدس ثانية وهزم اليهود، الذين هربوا إلى بتّير حيث لا تزال خرائب القلعة التي تحصن فيها اليهود وهزموا وسماها العرب "خربة اليهود"، وقد نكل هدريان بالثائرين أشد تنكيل ودمر "أورشليم" وحرث موقعها الذي كانت قائمة عليه وقتل وسبى أعداداً كبيرة من اليهود، ثم منع اليهود من دخول القدس والسكن فيها بل والدنو منها، وسمح للمسيحيين بالإقامة فيها على ألا يكونوا من أصل يهودي. وأقام هدريان مدينة جديدة فوق خرائب "أورشليم" سماها **إيليا كابيتولينا**،حيث عرفت بعد ذلك بـــ**"إيلياء"** وهو اسم هدريان الأول، وأقام هيكلاً وثنياً لجوبيتر على نفس مكان الهيكل القديم .

واستمر حظر دخول القدس على اليهود حوالي ٢٠٠ سنة تالية، وندر دخولهم إليها وأقامتهم فيها طوال القرون التالية حتى القرن التاسع عشر، وتشرد بنو إسرائيل في الأرض ولم يعد لهم في فلسطين سوى الذكريات التي أكثرها كفر وفسق وبغي وقتل للأنبياء، فكان جزاؤهم غضب الله عليهم ولعنته وحرمانهم من الأرض المقدسة وتقطيعهم في الأرض .

وفي الختام نذكر قول هـ.ج.ولز في كتاب موجز التاريخ حول تجربة بني إسرائيل في فلسطين بعد السبي البابلي:"كانت حياة العبرانيين (في فلسطين) تشبه حياة رجل يصر على الإقامة وسط طريق مزدحم، فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار . . ومن الأول إلى الآخر لم تكن (مملكتهم) سوى حادث طارئ في تاريخ مصر وسورية وآشور وفينيقية ذلك التاريخ الذي هو أكبر وأعظم من تاريخهم".

ويذكر المؤرخ المشهور **غوستاف لوبون** أن بني إسرائيل عندما استقروا في فلسطين " لم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما في حضارتها، أي لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها الضارة ودعارتها وخرافاتها فقربوا لجميع آلهة قبيلتهم يهوه الذي لم يثقوا به إلا قليلا"، ويقول "اليهود عاشوا عيش الفوضى الهائلة على الدوام تقريبا و لم يكن تاريخهم غير قصة لضروب المنكرات. ." . . "إن تاريخ اليهود في ضروب الحضارة صفر . . و(هم) لم يستحقوا أن يعدوا من الأمم المتمدنة بأي وجه" . . ويقول غوستاف لوبون أيضا "وبقي بنوا إسرائيل حتى في عهد ملوكهم بدوا أفاقين مفاجئين مغيرين سفاكين . . مندفعين في الخصام الوحشي"، ويقول "إن مزاج اليهود النفسي ظل على الدوام قريبا جدا من حال أشد الشعوب ابتدائية فقد كان اليهود عندنا مندفعين غفلا سذجا جفاة كالوحوش والأطفال" . . "ولا تجد شعبا عطل من الذوق الفني كما عطل اليهود" .

تاريخ القدس في الإسلام

أولا: مكانة بيت المقدس في الإسلام وعند المسلمين

إن مكة والكعبة كانتا مقدستين في ملة إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – فامتد تقديسهما وتكريمهما عند هذه الأمة المسلمة. وبيت المقدس والمسجد الأقصى كانا مقدسين في ملة إبراهيم وإسحاق، وامتد تقديسهما وتكريمهما كذلك عند الأمة المسلمة. ولكي نعرف مكانة بيت المقدس في الإسلام فإننا نجد أنفسنا ملزمين بالرجوع إلى المصادر الإسلامية الأساسية: (القرآن والسنة) مكتفين بتقديم بعض النصوص الواردة في الموضوع. فقد وصف القرآن الكريم أرض بيت المقدس بصفات البركة والطهر والقدسية في آيات متعددة:

﴿ يا قومِ ادخُلوا الأرضَ المُقدَّسةَ التي كَتَبَ اللهُ لكم ولا ترتَدوا على أدبارِكُم فتنقلبوا خاسرين ﴾ [المائدة: ٢١].

﴿ وأورثنا القومَ الذين كانوا يُستَضعَفون مَشَارِقَ الأرضِ ومغَارِبَها التي باركنا فيها ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنُرِيَه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ [الإسراء: ١].

﴿ ونجينا لوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ [الأنبياء: ٧١].

﴿ ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ﴾ [الأنبياء: ٨١].

وفي قوله تعالى عن عيسى وأمه – عليهما السلام –: ﴿ وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾ [المؤمنون: ٥٠] ، إشارة إلى بيت المقدس، كما قال قتادة وكعب والسدي[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ [النور: ٣٦] ، جاء في تفسيرها عن عكرمة أنها المساجد الأربعة: الكعبة ومسجد قباء ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس[2].

وقال ابن كثير في تفسير آية الإسراء: ﴿ ... إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ هو بيت المقدس الذي بإيلياء، معدن[3] الأنبياء من إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جمعوا له هناك ﷺ كلهم، فأمهم في محلتهم ودارهم، فدل على أنه ﷺ هو الإمام المعظم والرئيس المقدم[4].

ولا شك أن في اقتران الإسراء بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى ثم عروجه إلى السماوات العلى منه، دليلا باهرا على مدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسية عند الله تعالى، وأنه المصعد من الأرض إلى السماء.

وفي السنة النبوية الشريفة وردت أحاديث عديدة يتبين لنا منها مدى ما لبيت المقدس والمسجد الأقصى من منزلة وفضل في الإسلام نذكر فيما يلي بعضا منها:

١- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض. قال: **المسجد الحرام**. قلت: ثم أي ؟ قال: **المسجد الأقصى**. قلت: كم بينهما ؟

---

[1] انظر فتح القدير (٤٨٦/٣).

[2] فتح القدير (٣٤/٤).

[3] أي الأصل الذي نبتوا فيه.

[4] تفسير ابن كثير (٢٢/٣).

قال: أربعون عاما ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصل[1].

٢- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى**)[2].

٣- عن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: قلت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس. **قال: "أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره"** قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه ؟ قال: **"فتهدي له زيتا يسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه"**[3].

٤- عن ذي الأصابع ﷺ قال: قلت: يا رسول الله: إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا ؟ قال: **"عليك ببيت المقدس. فلعله ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون"**[4].

٥- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم،**

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة واللفظ له.

[2] رواه البخاري، كتاب فضل الصلاة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة واللفظ له ورواه مسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. والحديث مروي عن جماعة من الصحابة بحيث دخل في حد التواتر.

[3] رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه (وفيه ضعف).

[4] رواه أحمد في مسنده، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائدن وقال:"رواه الطبراني في الكبير، وعبد الله في زيادته على أبيه. وفيه عثمان بن عطاء، وثقه دحيم وضعفه الناس". انظر ترجمة (عثمان بن عطاء تهذيب التهذيب (٣٨/٧).

ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة"[1].

٦- عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **"بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام"**[2]. (أي أن ذلك يحدث في آخر الزمان)

٧- عن ابن عباس ﷺ قال: **"كان النبي ﷺ يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرا، ثم صرف إلى الكعبة"**[3].

إن المسجد الأقصى كما نرى من النصوص الإسلامية:

مسرى الرسول ﷺ ومنطقة عروجه. وهو أولى القبلتين. وثاني مسجدين وضعا في الأرض. وهو مترل مبارك تضاعف فيه الحسنات وتغفر فيه الذنوب.

ولهذه القداسة، وبناء على هذه المكانة، نظر المسلمون إلى بيت المقدس على أنه مزار شريف، ومترل مبارك، وموضع مقدس كريم، فشدوا إليه الرحال، وأحرموا منه للحج والعمرة، وزاروه لذاته بغية الصلاة والثواب، وأحاطوه برعايتهم الدينية الكريمة.

ويقال أن الخليفة عمر بن الخطاب أحرم للحج والعمرة من المسجد الأقصى، وكذلك الصحابي الجليل سعيد بن العاص ، وقدم سعد بن أبي وقاص — قائد جيش القادسية- إلى المسجد الأقصى فأحرم منه بعمرة، وكذلك فعل الصحابة: عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، ومحمود بن الربيع الأنصاري الخزرجي. **(لم أقف على أدلة صحيحة تؤيد ذلك)**.

---

[1] رواه أبو يعلى، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، انظر مجمع الزوائد (٦٣/١٠ ، ٦٤).

[2] رواه أحمد في مسنده، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عامر الأنطاكي، وهو ثقة، وقال ابن حجر: سنده صحيح.

[3] أخرجه أحمد، والبخاري نحوه عن البراء في كتاب الصلاة.

أما الصحابة والفقهاء وأعلام الفكر الإسلامي الذين زاروا بيت المقدس، وبعضهم أقام فيه، فهم أكثر من أن يحصوا، وحسبنا أن نذكر بعضهم لندل على المكانة الدينية التي احتلها بيت المقدس في فكر المسلمين وحضارتهم.

فمن هؤلاء[١].أبو عبيدة بن الجراح، وصفية بنت حيي زوج رسول الله ﷺ ، ومعاذ بن جبل، وبلال بن رباح — مؤذن الرسول — الذي رفض الآذان بعد وفاة الرسول ﷺ فلم يؤذن إلا بعد فتح بيت المقدس، وعياض بن غنيم، وعبدالله بن عمر، وخالد بن الوليد، وأبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء عويمر، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأبو مسعود الأنصاري، وتميم الداري، وعمرو بن العاص، وعبدالله بن سلام، وسعيد بن زيد، ومرة بن كعب، وشداد بن أوس، وأبو هريرة، وعبدالله بن عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وعوف بن مالك، وأبو جمعة الأنصاري، وكل هؤلاء من طبقة صحابة الرسول ﷺ .

ومن التابعين والفقهاء الأعلام: مالك بن دينار، وأويس القرني، وكعب الأحبار، ورابعة العدوية، والإمام الأوزاعي، وسفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، ومقاتل بن سفيان، والليث بن سعد، ووكيع بن الجراح، والإمام الشافعي، وأبو جعفر الجرشي، وبشر الحافي، وثوبان بن يمرد[٢]، وذو النون المصري، وسليم بن عامر[٣]، والسرى السقطي، وبكر بن سهل الدمياطي، وأبو العوام مؤذن بيت المقدس، وسلامة المقدس الضرير، وأبو الفرج عبد الواحد الحنبلي، والإمام الغزالي، والإمام أبو بكر الطرطوش، والإمام أبو بكر العربي، وأبو بكر الجرجاري[٤]، وأبو الحسن الزهري .. ومئات غيرهم.

---

[١] انظر الأنس الجليل ١/٢٦٠-٢٦٦، ومحمد الفحام: المسلمون واسترداد بيت المقدس ص ٣٤، وما بعدها نشر الأزهر.

[٢] أنظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٤٢٤، طبعة بيروت.

[٣] الطبقات ٧/٤٦٤.

[٤] الأنس الجليل/ ١ / ٢٧٥ وما بعدها .

ومن الخلفاء الذين زاروا بيت المقدس: عمر بن الخطاب، ومعاوية بن أبي سفيان[1] ، وعبدالملك بن مروان، وعمر بن عبدالعزيز، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، الذي هم بالإقامة في بيت المقدس، واتخاذها عاصمة لدولته بدل دمشق، وأبو جعفر المنصور، والخليفة المهدي بن المنصور، وغيرهم من خلفاء الأيوبيين والمماليك والعثمانيين .

وقد درج بعض الخلفاء والملوك — بدءاً من العصر المملوكي — على كنس الصخرة وغسلها بماء الورد بأيديهم .

ومن هؤلاء: الظاهر بيبرس[2]، والملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري، والملك الناصر محمد بن قلاوون، وأخوه السلطان حسن، والملك الظاهر برقوق، والملك الأشرف برسباي، والملك الأشرف إينال، والملك الأشرف قايتباي، والسلطان سليمان القانوني، والسلطان محمود الثاني، والسلطان عبد المجيد، والسلطان عبدالعزيز، والسلطان عبد الحميد الثاني وغيرهم.

---

(1) انظر ابن سعد/ الطبقات الكبرى ٧/ ٤٠٦.

(2) انظر د. رشاد الإمام: مدينة القدس في العصر الوسيط ص ٦٢ وما بعدها.

ثانيا: لمحات من تاريخ بيت المقدس والمسجد الأقصى في الإسلام

أ- في عهد النبي صلى الله عليه وسلم:

صعد النبي ﷺ إلى السماوات العلى، ليرى من آيات ربه الكبرى، وكان المسجد الأقصى هو المكان الذي صعد منه .. وكان حدث المعراج شرفاً آثر الله به النبي العظيم من ذلكم المسجد العظيم ليرقى إلى ملأ عظيم في ليلة عظيمة ..

ولو لم يحدث في زمن النبوة ما يشرف هذا المكان إلا ذلكم الحدث لكفاه، ولكن الواقع أن بيت المقدس كان له نصيب آخر من أحداث عهد النبوة؛ إذ توجه إليه اهتمام الرسول ﷺ عملاً بعد أن ندب إلى تكريمه وتعظيمه معنىً.

فبعد أن توطدت دعائم الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة، وبعد أن تم فتح مكة المكرمة وأعز الله دينه فيها، وتمكن المسلمون من رفع راية التوحيد فوق ربوع الكعبة المشرفة .. تلفتت أنظار النبي ﷺ صوب بيت المقدس في الشام ليطهرها من أدران الشرك الروماني النصراني، كما طهر مكة من أوضار الشرك العربي الوثني، ولتبدأ بذلك الخطوة الأولى نحو الهدف الكبير .. تحرير الأرض المقدسة، وتكسير الآصار التي حلت بها.

وكان رسول الله ﷺ قد بعث برسائل إلى هرقل عظيم الروم يدعوه إلى الإسلام، وبعث الحارث بن عمير الأزدي إلى عظيم بصرى وحاكمها من قِبَل الروم (شرحبيل بن عمرو الغساني)، ولكنه أوثق المبعوث رباطاً وقتله، و لم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره ، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج للشام في العام الثامن للهجرة، فاجتمع من المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل قد تهيؤوا للخروج إلى مؤتة[1] و لم يخرج النبي ﷺ معهم. وفي هذه الغزوة قُتل

[1] (مؤتة) منطقة تقع شمال البتراء في شرق الأردن، قرب الطرف الجنوبي للبحر الميت من جهة الشرق.

زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة الذي تناول الراية من يد أخيه جعفر بعد استشهاده، ثم لما قتل بن رواحة شهيداً التقف الراية سيف الله المسلول خالد بن الوليد، ففتح الله عليه بأن انسحب ببقية الجيش انسحاباً آمنا بعد أن ناوش الروم ونال منهم حين انسحابه، وقد حمد له النبي ﷺ هذا الصنيع.

ثم إن الروم قد بدأت بحشد الجيوش للإغارة على دولة الإسلام لتضمن البقاء جاثمة على أرض بيت المقدس ممسكة بزعامة العالم النصراني من هناك، حيث الأرض التي وُلد عليها عيسى عليه السلام ومنها رفع، وهم يدعون أنه صُلب وقتل ثم دفن فيها، وأعد الرومان حشودهم ليعيدوا الكرة، وليضربوا الإسلام في شمال الجزيرة ضربة ترده من حيث جاء، وتوصد عليه باب الحدود فلا يستطيع التسرب منها إلى الأرض المقدسة، وتنامت إلى أسماع المسلمين أنباء الإعداد النصراني، ومع أن قتال الروم ليس بالغزوة السهلة أو المواقعة اليسيرة لكون دولتهم دولة عظمى آنذاك، تبسط سلطانها على عدة قارات، مع ما تملك من الموارد الكثيرة رجالاً وأموالاً ..مع ذلك كله لم يجد النبي ﷺ بداً من استنفار المسلمين لملاقاة ذلك العدو المستكبر، وذلك بعد منصرفه من الطائف في السنة التاسعة للهجرة.

وقد اكتنف إعداد الجيش الذي أنشىء لقتال الروم في الشام ظروف عصيبة، حتى سمي جيش العسرة، والآيات التي أنزلت في القرآن متعلقة بغزوة العسرة هي أطول ما نزل في قتال بين أهل الإسلام وغيرهم من ملل الكفر .. فسورة التوبة تفيض بصفحات طوال عن أنباء وأحوال جيش العسرة.

ولما بلغ الجيش الإسلامي تبوك لم يجد للرومان أثراً يدل على استعداد لحرب، فيبدوا أنهم آثروا الاختفاء عن ملاقاة جيش الإسلام الفتي الذي خرج في عدد لم يخرج المسلمون بمثله من قبل، إذ كان نحوا من ثلاثين ألفاً من المقاتلين المعبئين تعبئة لم تسبق لجيش إسلامي، وجاء ختام الغزوة طمأنينة وعزة للمسلمين، فأقفل الرسول ﷺ بالجيش عائداً إلى المدينة بعد أن أزال رهبة نزال الروم من قلوب المسلمين، وكسر حاجز الخوف من لقائهم[1].

---

[1] انظر تاريخ الطبري (٣/١٤٦ ، ١٤٧).

وبعد أن عاد النبي ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة المنورة، أمر المسلمين بالتهيؤ لغزو معاقل الروم في أرض الشام، واختار لإمرة هذا الغزو أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – وكان أسامة شاباً حدثاً لم يجاوز الثماني عشرة سنة، فأمره ﷺ أن يسير إلى موضع مقتل أبيه زيد بن حارثة ﷺ الذي قتل في غزوة مؤتة وأن يوطيء الخيل تخوم (البلقاء والداروم) من أرض فلسطين. وكان ذلك مع مبدأ شكواه ﷺ من مرضه الذي توفي فيه.

وتجهز الجيش، وخرج بقيادة أسامة بن زيد إلى ظاهر المدينة فعسكر بالجرف، وفي هذا الوقت اشتدت برسول الله ﷺ شكواه التي قبضه الله تعالى فيها، فأقام الجيش هناك ينتظرون ما الله قاضٍ في هذا الأمر.

٢- في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

اختار الله ﷻ نبيه ﷺ للقائه ، وآثر ﷺ الرفيق الأعلى على البقاء في الدنيا. واختارت الأمة أبا بكر خليفة لرسول الله ﷺ في ظروف عصيبة، ومنعطف حاد في مسيرة الدعوة الإسلامية.

وبدأ الخليفة الجديد في ترتيب أمور الدولة والإبقاء على النظام والاستقرار فيها، ووجد بعث أسامة ينتظر قراراً بالإنفاذ أو الإيقاف، ولكن الصديق كعادته في الوفاء لرسول الله ﷺ أبى إلا أن ينفذ جيشاً أعده الرسول ﷺ قبل وفاته، ووجه الجيش إلى تخوم البلقاء، فسار إلى حيث وجهه أبو بكر. ولم يكد عهد أبي بكر ﷺ يستقر حتى تداعت فتنة العرب المرتدين تتكالب على أمة لم تندمل جراحها بعد بسبب مصابها الجلل في قائدها وإمامها ونبيها ﷺ .

وشمر أهل الدعوة للدفاع المستميت عنها في حقبة رهيبة، ومع ذلك لم ينشغل القائد والخليفة بمهم الأحداث عن أهمها ، و لم تلفه تداخلاتها، بل نسق جهوده، ورتب خطواته في مسيرة الحفاظ على الأمانة التي تحملها أمام الله تعالى وأمام أمة الإسلام.

أدرك أبو بكر ﷺ خطورة الخطوة التي تجرأ عليها المرتدون، وعزم على قتالهم وقتال مانعي الزكاة، و لم يلتفت إلى نصح من نصحه بالكف عنهم، وقال قولته: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة". وقال: "والله لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي، ولو خالفتني يميني لقاتلتهم بشمالي". ونصح أبو بكر أيضا بالاستفادة من بعث أسامة في قتال المرتدين، ولكنه أصر على إنفاذ جيش أسامة.

وأتم الله تعالى لأبي بكر النصر الحاسم على المرتدين، وتوجه نظره بعد ذلك إلى توجيه جيش إسلامي كبير إلى الشام والعراق، فوجه أبو عبيدة عامر بن الجراح إلى حمص، وولاه إمرة الجيوش ، كما أرسل يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق، وعمرو بن العاص إلى فلسطين، وشرحبيل بن حسنة لوادي الأردن، وكان عدد هذه الجيوش يقارب الإثني عشر ألفا[1].

ثم أسند أبو بكر القيادة العامة لجيش الشام إلى خالد بن الوليد ﷺ بعد انتهائه من قتال الفرس في العراق، وبدأ الصدام بين جند الرحمن وجند الشيطان ، وألتقى يزيد بن أبي سفيان في وادي عربة جيشا نصرانيا يقوده البطريك (سرجيوس)، فهزمه شر هزيمة سنة ١٣هـ، ثم وقع الالتقاء الثاني بين جيش الإسلام وجيش الروم بقيادة (ثيودورس) شقيق هرقل، في جمادى الأولى من العام نفسه في منطقة (أجنادين)[2].

وكان (ثيودورس) قد توجه بجيشه البالغ مائة ألف مقاتل، زوده بمعظمهم هرقل، وظل هرقل في حمص، وعين قائدا آخر هو (وردان) على اثنى عشر ألف مقاتل ووجهه إلى بعلبك، وأمره أن يحاول منع المسلمين من التجمع تحت قيادة خالد بن الوليد الذي كان محاصرا لدمشق في ذلك الوقت، وجرت محاورات والتفافات قرر هرقل بعدها تجميع

---

[1] انظر الكامل لابن الأثير (٢/٢٢).

[2] منطقة في فلسطين بين الرملة وبيت جبرين.

جيوشه في أجنادين، فتجمع جمع مبارك من أفذاذ القادة المسلمين حتى ينهزم الجمع المشرك ويولوا الأدبار.

حضر شرحبيل بن حسنة بجيشه وكان بأرض بصرى، ومعاذ بن جبل وكان بحوران، ويزيد بن أبي سفيان وكان بالبلقاء، والنعمان بن المغيرة وكان بأرض أركة وتدمر، أما عمرو بن العاص فكان بفلسطين، واتجه الجميع إلى أجنادين بفلسطين، يتقدمهم سيف الله المسلول. وكان في المؤخرة أبو عبيدة بن الجراح مع الأحمال والأموال، وبدأت رحى المعركة تدور بضراوة حتى انجلى غبارها عن نصر مظفر لأهل لا إله إلا الله.

وتمخضت ملاحم النصر عن فتح عدة مدن بفلسطين منها نابلس وعسقلان وغزة والرملة وعكا واللد، وفتح عمرو بن العاص مدناً أخرى منها يافا ورفح[1]. وبهذا مهدت الجيوش الإسلامية في خلافة أبي بكر الصديق الطريق للزحف نحو بيت المقدس.

وطار الرشاد من عقل الدولة البيزنطية وهي تعاين معاقلها تتهاوى وحصونها تندك تحت أقدام جند الله المؤمنين، فحشدت جيوشاً جرارة أخرى قوامها خمسون ألفا، وقيل مائة ألف مقاتل، وتجمع الجيش الروماني في اليرموك بقيادة (ثيودورس) أخي هرقل ليواجه جيش المسلمين البالغ خمسة وعشرين ألفاً منهم ألف صحابي ومائة بدري، إلا أن الله ﷻ نصر جنده مرة ثانية وفتح للمسلمين فتحاً مبيناً، وتمت السيطرة على المنطقة الوسطى من سوريا التي تحمي ظهورهم بالبادية مما مهد لفتح بيت المقدس بعد ذلك.

وبعد هذه الأحداث بوقت قريب لحق أبو بكر بملأ السماء، وظفر جثمانه الطاهر بجوار الرسول ﷺ في يوم ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ ، بعد أن أنجز الوعد ووفى بالعهد.

---

[1] انظر (فتوح البلدان) للبلاذري.

٣- في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

انتهى دور خالد بن الوليد ﷺ في قيادة جيش اليرموك بانتهاء حياة أبي بكر ﷺ وعين عمر بن الخطاب أبا عبيدة قائداً بعد خالد، حتى لا يفتن الناس بخالد المظفر الذي لم يُهزم في معركة قط، وحتى يعلموا أن النصر من عند الله وليس من عند خالد.

ووجه عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح ﷺ لفتح المدينة المقدسة، وكان معسكِراً في الجابية[1] ولما وصله رسول عمر قام أبو عبيدة بتوجيه خالد بن الوليد في خمسة آلاف فارس نحو بيت المقدس، ثم أتبعه بخمسة آلاف آخرين بقيادة يزيد بن أبي سفيان، ثم خمسة آلاف بقيادة شرحبيل بن حسنة — رضي الله عنهم جميعاً — واجتمعت الجيوش كلها ولحق بها أبو عبيدة، وضربوا الحصار حول المدينة المقدسة في أيام برد شديد، حتى استيأس أهل إيلياء من مغالبة الحصار بعد مرور أربع أشهر، فطلبوا الصلح من أبي عبيدة على أن يتولى الخليفة عمر بنفسه استلام المدينة ليضمنوا العهد والأمان منه.

وأجابهم أبو عبيدة إلى مرادهم وأرسل طالباً إلى الخليفة عمر ﷺ أن يحضر لتسلم المدينة، وجاء وفد أبي عبيدة إلى المدينة وبصحبتهم وفد من النصارى، فسألوا عن أمير المؤمنين ليبلغوه طلب رؤسائهم، واشتد عجبهم عندما رأوا قائد دولة المسلمين مفترشاً الأرض تحت ظل شجرة يحتمي بها من قيظ الحر.

أجابهم عمر وقرر الخروج إلى إيلياء، وكانت لا تزال تسمى بهذا الاسم، ووصل عمر الفاروق المظفر إلى المدينة ليحرر مسرى رسول الله ﷺ من آصار الشرك الصليبي. ودخل القدس عن طريق جبل (المُكبِر)[2] الذي سمي بهذا الاسم لأن عمر ﷺ لما أشرف على المدينة المقدسة من فوقه كبر وكبر معه المسلمون.

---

[1] وهي قرية من منطقة الجولان الآن.

[2] وهو جبل طور زيتا.

وكان عمر ﷺ ممتطياً بعيراً أحمر عليه غرارتان في إحداهما سويق وفي الأخرى تمر ، وبين يديه قربة مملوءة بالماء، وخلفه جفنة للزاد[1] وذكر ابن الجوزي أنه كان يتبادل مع غلام له الركوب على الراحلة، وعندما بلغ الخليفة سور المدينة كان دور الركوب لغلامه، فترل عمر وركب الغلام وعمر يمسك بخطام البعير، فلما رآه المحصورون آخذاً بمقود الراحلة وغلامه فوقها أكبروه، وبكى بطريرك النصارى (صفريونيوس) وقال: "إن دولتكم باقية على الدهر، فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة"[2].

وكتب عمر وثيقة الأمان (نوردها في آخر هذا الفصل بإذن الله) ، وبعد أن انتهى من كتابتها طلب من البطريرك أن يدله على مكان مسجد داود[3] ، فساروا وسار معهما أربعة آلاف من المسلمين متقلدين سيوفهم. حتى وصلوا الباب المسمى (باب محمد) وكان الباب يكاد أن يغلق لانحدار ما في داخل السور من الزبالة على درجه ، فتجشم الجميع الدخول إلى الصحن ، ونظر عمر يميناً وشمالاً ثم قال: "الله أكبر ، هذا والذي نفسي بيده مسجد داود عليه السلام الذي أخبرنا رسول الله ﷺ أنه أسري به إليه"، وكان على الصخرة زبل كثير مما طرحته الروم غيظاً لبني إسرائيل ، فبسط عمر رداءه وجعل يزيل هذا الزبل والمسلمون يحذون حذوه ، ومضى عمر نحو مكان محراب داود فصلى فيه وقرأ سورة (ص) وسجد[4].

وذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب ﷺ عندما دخل الساحة سأل كعب الأحبار الذي كان من جنود الفتح وكان يهودياً فأسلم ﷺ سأله عن مكان الصخرة ، فدله عليها وكانت مغطاة بالزبل، فأزال عمر ومعه المسلمون الزبل من عليها، وقرر أن يبني هناك مسجداً، فاستشار كعب الأحبار فأشار عليه أن يبنيه خلف الصخرة لتجتمع قبلتا موسى

---

[1] فتوح الشام للواقدي.

[2] انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل.

[3] ولم يكن هناك بناء لمسجد، وإنما سمي مسجداً باعتبار كونه مكان مسجد.

[4] الأنس الجليل، والبداية والنهاية.

ومحمد – عليهما الصلاة و السلام – ولكن عمر رفض وقال له: "ضاهيت اليهود يا كعب" ، وأقام المسجد أمام الصخرة وجعلها في مؤخرته[1].

العهدة العمرية

هذا ما أعطى عبدُ الله أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) أهلَ إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبناهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تُسكن كنائسهم، ولاتُهدم، ولايُنتقص منها، ولا من خيرها، ولا من صُلُبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم **ولا يسكن بإيلياء (القدس) معهم أحد من اليهود** وعلى أهلِ إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يُعطي أهلُ المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن اقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يَبلُغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعَد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم

شهد على ذلك الصحابة الكرام :

خالد بن الوليد , عمر بن العاص , عبد الرحمن بن عوف , معاوية بن أبي سفيان

[1] فتوح الشام (١/٢٤٢).

الأمويون وبناء المسجد الأقصى

لقد بات معروفا بين الباحثين والمختصين في العمارة الإسلامية، أن مبنى المسجد الأقصى المبارك الحالي، هو المسجد الأقصى الثاني، باعتبار أن المسجد الأقصى الأول (القديم) هو ذاك الذي بناه الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ﷺ (١٣-٢٣ هجرية/ ٦٣٤-٦٤٤ ميلادية)، بعد الفتح الإسلامي لبيت المقدس سنة ١٥هجرية/ ٦٣٦ ميلادية، حيث كان يقوم في الجهة الجنوبية الشرقية للأقصى الشريف والذي امتاز بناؤه بالبساطة المتناهية، وعلى ما يبدو أن هذا المسجد لم يصمد طويلا أمام تقلبات العوامل الطبيعية المؤثرة وذلك لبدائية إنشائيته، حتى قام الأمويون بتأسيس وبناء المسجد الأقصى الحالي.

ففي ضوء الحفريات التي جرت في الجهة الجنوبية للمسجد الأقصى، والتي كشفت النقاب عن المخطط المعماري لدار الإمارة الأموية في بيت المقدس، ومن خلال البقايا المعمارية والأثرية لخمسة مبان ضخمة عبارة عن قصور وقاعات كبيرة، دلت وأكدت تاريخ الأمويين العريق في بيت المقدس.

فالأمويين لم يغفلوا ولو للحظة واحدة عن قدسية بيت المقدس ومكانتها في الإسلام. فنراهم ترجموا هذا الاهتمام بالفعل والعمل، وذلك من خلال مشاريعهم المعمارية الضخمة التي قاموا بتنفيذها في منطقة الأقصى الشريف، حيث بدأ المسيرة المعمارية المباركة هذه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في بناء قبة الصخرة، وكأنه أوصى ابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك، الذي امتاز عهده بالرخاء وكثرة البناء، حتى اشتهر بذلك، أوصاه لإكمال هذه المسيرة، فقام ببناء المسجد الأقصى ودار الإمارة ومعالم أخرى.

فالأمويون انتصروا لمدينة دمشق كعاصمة سياسية لدولتهم، بينما أصبحت مدينة القدس المحطة الدينية التي يشد إليها أبناء بلاد الشام رحالهم، وهكذا أصبحت مدينة دمشق العاصمة السياسية بينما أصبحت القدس المحور الروحي الذي يبارك التوجهات السياسية، إذن لماذا أصر معاوية في عام ٦٦١م على اتخاذ دمشق عاصمة له؟ وهل هذا هو اختيار أدبي أم سياسي أم استراتيجي؟

لقد كانت دمشق تمثل مركزاً للثقل العسكري في قلب بلاد الشام من أجل الحفاظ على التوازن الاستراتيجي مع الدولة البيزنطية المندحرة من بلاد الشام، خاصة بعد التغيرات الديموغرافية التي ظهرت خلال ربع قرن من انتصار الإسلام، وعليه لا بد لدمشق من مواجهة التحديات الكثيرة في الداخل والخارج على حد سواء، وقامت فعلاً بذلك الجهد.

أما مدينة القدس فقد استمرت تحظى بالأمان والاستقرار، ومنذ عام ٦٨٥م حيث تولى عبد الملك بن مروان الخلافة الأموية تمكن من تحقيق الاستقرار بصورة فعلية، وبدأ العمل في القضايا الجذرية، أهمها إعطاء مدينة القدس مكانتها المشرفة في قلب العالم الإسلامي، فهي قبلة المسلمين الأولى، وهي المكان الذي حدثت فيه معجزة الإسراء والمعراج، وهي المدينة التي دخلها الخليفة عمر بن الخطاب وصلى فيها، وتعهد من خلال الوثيقة العمرية بحمايتها وتحقيق الأمن والرخاء لها.

لهذا قرر الخليفة عبد الملك بن مروان أن يقيم بناء متميزاً فوق الصخرة ليكون أول صرح معماري يقيمه المسلمون في مدينة القدس.
وتشير بعض المصادر الإسلامية إلى أن الخليفة قد استعان بأهل الخبرة في مجال البناء وكلف كلاً من رجاء بن حياة الكندي من مدينة القدس ويزيد بن سلام من بيسان للقيام بهذه المهمة من حيث الإشراف على تنفيذ المخطط الهندسي واعتماد طبيعة الفنون الداخلية.

وقد أمر الخليفة أن يُرصد خَراجُ مصر طيلة سبع سنوات لاعتماده في حساب المشروع، ولا شك أن الخليفة قد أمر بأن تكون الرعاية الأولى للصخرة الواقعة في وسط الأقصى الشريف باعتبارها الأكثر أهمية لعلاقتها بصخرة الإسراء والمعراج، فهي صخرة تبرز عن سطح الأرض حوالي متر ونصف المتر، بينما تمتد حوالي ١٨ متراً طولاً، وتمتد ١٣ متراً عرضاً، ولهذا كان الهدف الأول هو احتواؤها بشكل هندسي رفيع، ومن خلال دراستنا لمخطط البناء، يتضح لنا أن البناء يمثل صرحاً تذكارياً، يحتوي في وسطه الصخرة.

لقد كان عبد الملك بن مروان أول خليفة عربي مسلم يقرر العودة إلى الجذور والأصول العربية ليس في مجال العمارة فحسب، بل في مجالات التعريب للدواوين، وفي اعتماد أشكال الحروف العربية و إصدار النقود العربية والإسلامية باللغة والحروف العربية وإنهاء كل ما هو خارج عن طبيعة العروبة والإسلام.

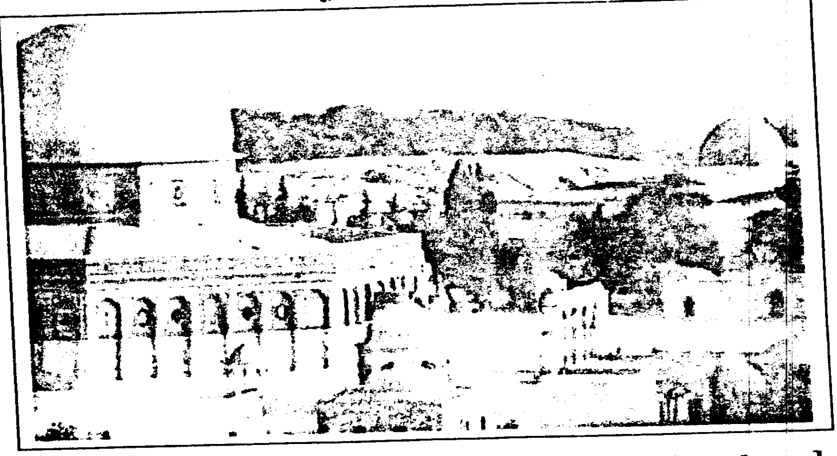
لقد سعى عبد الملك أن يكون عربياً مسلماً بكل المفاهيم والتقاليد العربية في مخطط بناء قبة الصخرة بالقدس، وهذا يؤكد اهتمامه بالأصول العربية الأصيلة التي كانت مستعملة في بلاد الشام في الفترات السابقة.

ولقد كانت مساحة المسجد الأقصى المبارك في العهد الأموي أكبر بكثير مما هي عليه الآن، وقد ظل المسجد قائماً بتخطيطه الأصلي الأموي حتى سنة ١٣٠هجرية/ ٧٤٦ ميلادية، حيث تهدم جانبيه الغربي والشرقي جراء الهزة الأرضية التي حدثت في تلك السنة.

هذا وسوف نستكمل –بإذن الله تعالى– تاريخ المسجد الأقصى في بقية العهود الإسلامية التالية بعد حديثنا عن بناء المسجد ومكوناته المعمارية، وذلك لإرتباط الموضوعين ببعضهما البعض.وذلك في فصل (المسلمون والمحافظة على المسجد الأقصى) من الباب الثاني.



الباب الثاني



[تعتبر قضية القدس قضية خطيرة وحاسمة، لأنها تمس عقيدة كل مسلم في العالم وحضارته وتراثه] الشيخ أحمد ياسين (مؤسس حركة المقاومة الإسلامية "حماس" - غزة)

أبنية المسجد الأقصى



مدينة القدس

لم تكن مدينة القدس، قبل الفتح الإسلامي سنة ١٥ هـ ٦٣٧م، إلا مدينة صغيرة تعرضت لاجتياح الفرس. ومنذ أن زار الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ هذه المدينة سنة ١٥ هـ/ ٦٣٧م ليستلم المدينة ، ابتدأ الإعمار الإسلامي، وكان بدائياً مؤقتاً.

تبلغ مساحة القدس ضمن الأسوار كيلومتراً مربعاً ويقع الأقصى الشريف في الناحية الشرقية من المدينة وأسوارها. وتقسم المدينة إلى حارات أو خطط، وفي هذه الأحياء أسواق محلية صغيرة استقلت عن الأسواق الرئيسة، وكانت الأحياء تضم مجموعات سكانية منسجمة في بيئتها الاجتماعية والدينية، وطرق المدينة القديمة متعرجة، غطي بعضها بعقود، وقد تقوم منشآت أو امتدادات عالية للبيوت.
ومن أهم هذه المنشآت المساجد والمآذن والمدارس، وإذا استثنينا قبة الصخرة والمسجد الأقصى فإن أكثر المساجد والمآذن في القدس تعود إلى العصر المملوكي.
ومن المساجد نذكر مسجد القلعة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م، والمسجد القيمري ٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م وجامع الخانقاه الصلاحية، وتعود مئذنته إلى عام ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م.
ومن المساجد العثمانية مسجد النبي داود الذي أنشأه سليمان القانوني وهو مجمع معماري، ولقد حوّله الإسرائيليون إلى كنيس وأزيلت الكتابات القرآنية منه واستبدلت بكتابة عبرية، وجامع المولولة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧.

إن أكثر المباني الإسلامية في القدس هي المدارس التعليمية. ويذكر أوليا جلبي أن عدد المدارس والزوايا في القدس خلال القرن الحادي عشر الهجري كان ٦٣٠ مدرسة، ومن أقدم المدارس المدرسة المنصورية التي أنشأها الملك المنصور قلاوون، وهي أكثر المدارس الإسلامية الباقية من العهد المملوكي الذي امتد حتى عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وقد اهتم

المماليك بتأكيد المذهب السني بمذاهبه الأربعة وبخاصة المذهب الشافعي، ولذلك فإن بناء المدرسة يتضمن أربعة أواوين لتدريس الفقه حسب المذهب الحنفي والشافعي والحنبلي والمالكي، وكان الإيوان القبلي هو مكان للصلاة ومدرسة لتدريس المذهب الشافعي.

حدود المسجد الأقصى

لقد أراد عمر بن الخطاب ﷺ أن يقوم بزيارة منطقة الإسراء في المسجد الأقصى، كما ورد في الآية الكريمة، **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾** [الإسراء: ١].

على أن المسجد الأقصى المذكور في الآية الكريمة هنا، لا يعني المسجد الذي أنشأه عبد الملك بن مروان لاحقاً، وإنما يعني المكان المقدس الذي يُسجد فيه لله تعالى في مكان يبعد عن المسجد الحرام في مكة المكرمة. المكان الذي يسمى (الأقصى الشريف)، وهي أرض واسعة تحيط بها الأسوار بطول يصل إلى ٤٩٢م من الغرب وإلى ٤٦٢ من الشرق وعرضه في الشمال ٣١٠م وفي الجنوب ٢٨١م، وله عدد من المداخل الرمزية مؤلفة من أقواس وأعمدة أطلق عليها اسم الميازين، في هذه الساحة منشآت إسلامية تعود إلى مختلف العهود الإسلامية، هي مدارس ومساجد وقباب وأهمها قبة الصخرة والمسجد الأقصى. وكان العرب الذين يزورون القدس يحرصون على الصلاة في هذا المكان ويطلقون عليه المسجد الأقصى.

يقول مجير الدين الحنبلي في (الأنس الجليل) : "إن المتعارف عند الناس أن الأقصى من جهة القبلة, الجامع المبني في صدر المسجد الذي فيه المنبر والمحراب الكبير, وحقيقة الحال أن الأقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور .. فإن هذا البناء الموجود في صدر المسجد وغيره، من قبة الصخرة والأروقة وغيرها محدثة, والمراد بالأقصى ما دار عليه السور".

ويقول الدباغ في كتابه (القدس) : "يتألف الأقصى الشريف من المسجدين، مسجد الصخرة والمسجد الأقصى، وما بينهما وما حولهما من منشآت حتى الأسوار ".
على هذا الأساس ندرك بشكل واضح أن كل المساحة القائمة، حدود ما دار عليه سور الأقصى المبارك هي جزء لا يتجزأ من الأقصى المبارك، والسور المحيط بهذه المساحة هو جزء لا يتجزأ منها.

أبواب الأقصى الشريف

تقوم في جهات الأقصى الشريف الأربعة ما مجموعه خمسة عشر باباً، منها عشرة أبواب مفتوحة وزعت في جهتيه الشمالية والغربية. وخمسة مغلقة منذ الفتح الصلاحي تقوم في جهتيه الشرقية والجنوبية. والحق يقال أن هذا الموضوع لم يعط حقه في البحث العلمي.
فقد ذكر لنا ابن الفقيه (٢٩٠هجرية/ ٩٠٣ ميلادية) ثمانية أبواب حيث قال:
((.. وفيه من الأبواب باب داود وباب حطة وباب النبي وباب التوبة وباب الوادي وبابي الرحمة وأبواب الأسباط وباب دار أم خالد)).
وأما ابن عبد ربه (٣٠٠ هجرية/ ٩١٣ ميلادية)، فقد ذكر لنا عشرين باباً، حيث قال:
((ويدخل إلى المسجد (المقصود الأقصى الشريف) من ثلاثة عشر موضعاً، بعشرين باباً: باب حطة، باب النبي، أبواب محراب مريم، بابي الرحمة، باب بركة بني إسرائيل، أبواب الأسباط، أبواب الهاشميين، باب الوليد، باب إبراهيم، باب أم خالد، باب داود)).
وأما الرحالة الفارسي ناصر خسرو (٨٣٤ هجرية/ ١٠٤٧ ميلادية)، فقد أشار إلى ستة أبواب وهي كالآتي:
((باب التوبة وباب الرحمة وباب النبي وباب العين وباب حطة وباب السكينة)).

وعليه: فإن أبواب الأقصى الشريف قد زادت عن العشرين باب في الفترات الإسلامية المبكرة، ولكننا لا نجد اليوم سوى الخمسة عشر بابا التي ذكرناها أعلاه، والتي على ما يبدو أنها بقيت على وضعها الحالي منذ الفترة المملوكية وحتى يومنا هذا. ذلك أنه قد طرأ عليها تغييرات عديدة جراء الهزات الأرضية والحروب المدمرة والتي تخللت العهود الإسلامية منذ الفتح الإسلامي وحتى الاحتلال الصليبي.

وأما الأبواب المفتوحة والواقعة في الجهتين الشمالية والغربية فهي كالآتي:

الأبواب الواقعة في الجهة الشمالية وهي:

١) باب الأسباط:

وهو من أبواب الأقصى الشريف القديمة فقد أشير إليه في المصادر التاريخية المبكرة التي ذكرناها سابقا. وأما الباب الحالي الذي يقوم اليوم فقد أعيد بناؤه في الفترة الأيوبية في سنة ٦١٠هجرية/ ١٢١٣ ميلادية، أثناء بناء الرواق الشمالي. كما تم تجديده في الفترة المملوكية، في سنة ٧٦٩ هجرية/ ١٣٦٧ ميلادية.

٢) باب حطة:

وهو أيضا من أبواب الأقصى الشريف القديمة فقد تم ذكره عند ابن الفقيه وابن عبد ربه والمقدسي كما مر معنا سابقا. ولكن بناءه الحالي يعود للفترة الأيوبية، حيث تم تجديده في سنة ٦١٧ هجرية/ ١٢٢٠ ميلادية وذلك حسب النقش التذكاري الذي كان موجودا فيه، والذي ورد فيه ما نصه:

((جدد هذا الباب في أيام دولة السلطان الملك العظيم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وذلك في شهر رجب من سنة سبع عشرة وستمائة)).

٣) باب العتم:

ويعرف هذا الباب أيضاً بعدة تسميات أخرى وهي باب شرف الأنبياء، وباب الدوادارية وباب فيصل. حيث أطلق عليه في زمن العمري (٧٤٨ هجرية/ ١٣٤٧ ميلادية) باب شرف الأنبياء وفي زمن مجير الدين (٩٠١ هجرية/ ١٤٩٦ ميلادية) باب الدوادارية وفي الفترة الحديثة باب فيصل وباب العتم.

وقد تم تجديد بنائه في الفترة الأيوبية في سنة ٦١٠ هجرية/ ١٢١٣ ميلادية، متزامناً مع بناء القسم الشرقي من الرواق الشمالي.

وأما الأبواب الواقعة في الجهة الغربية فهي على الترتيب من الشمال إلى الجنوب كما يلي:

٤) باب الغوانمة:

ويعرف أيضاً باسم باب درج الغوانمة وباب الخليل، ويعود تاريخ بنائه للفترة المملوكية، حيث تم تجديده في سنة ٧٠٧ هجرية/ ١٣٠٧ ميلادية.

٥) باب الناظر:

وقد عرف هذا الباب في زمن العمري باسم باب الرباط المنصوري ، وفي زمن مجير الدين بباب الناظر، وفي الفترة العثمانية بباب الحبس وفي الفترة الحديثة بباب المجلس. كما وتم تجديده للمرة الثانية في الفترة المملوكية أثناء أعمال البناء التي تمت في الرواق الغربي.

٦) باب الحديد:

وقد عرف أيضا بباب أرغون نسبة للأمير أرغون الكاملي الذي قام بإعادة بنائه في الفترة الواقعة ما بين (٧٥٥-٧٥٨ هجرية/ ١٣٥٤-١٣٥٧ ميلادية). ومعنى كلمة أرغون بالتركية هي الحديد.

٧) باب القطانين:

يعتبر هذا الباب من أكبر أبواب الأقصى الشريف المملوكية، حيث قام بإنشائه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإشراف نائبه الأمير سيف الدين تنكز الناصري، في سنة ٧٣٧ هجرية/ ١٣٣٦ ميلادية، وذلك حسب النقش التذكاري الموجود في واجهته المطلة على ساحة الأقصى الشريف والذي ورد فيه ما نصه:

((بسم الله الرحمن الرحيم جُدد هذا الباب المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون بالمباشرة العالية السيفية تنكز الناصري أعز الله أنصاره في شهور سنة سبع وثلاثين وسبع مائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله)).

٨) باب المطهرة:

وقد عرف هذا الباب أيضاً باسم باب السقاية، نسبة للسقاية أو المتوضأ التي أقيمت في الفترة الأيوبية في عهد السلطان الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب في سنة ٥٨٩ هجرية/ ١١٩٣ ميلادية والتي كان يتوصل إليها من خلال هذا الباب.

كما وعرف هذا الباب بباب المتوضأ في زمن مجير الدين، والذي أشار إلى إعادة تجديده في الفترة المملوكية على يدي الأمير علاء الدين البصيري..

٩) بابي السلسلة والسكينة :

يعتبر هذان البابان من أبواب الأقصى الشريف القديمة، حيث ورد ذكرهما في المصادر التاريخية المبكرة.

فقد أشار له ابن الفقيه باسم باب داود (المقصود باب السلسلة)، وأما ابن عبد ربه فقد ذكر الأثنين: باب داود وباب السكينة.

وقد أطلق عليه، على ما يبدو في الفترة المملوكية اسماً غريباً وهو باب السحرة.

وعلى ما يبدو أن تاريخ البناء الحالي لهذين البابين، يعود للفترة الأيوبية وذلك اعتماداً على العناصر المعمارية والفنية لهما وبخاصة استخدام الأعمدة الرخامية الملفوفة أو المثعبنة والتي سادت في هذه الفترة.

كما وجرت عليهما ترميمات مختلفة في الفترة المملوكية .

١٠) باب المغاربة :

وقد عرف هذا الباب أيضاً باسم باب حارة المغاربة، وباب البراق، وباب النبي.

هذا وقد أعيد البناء الحالي لهذا الباب في الفترة المملوكية، في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧١٣ هجرية/ ١٣١٣ ميلادية.

الأبواب المغلقة:

الأبواب المغلقة الواقعة في الجهة الجنوبية:

يقوم في السور الجنوبي للأقصى الشريف ثلاثة أبواب مغلقة، والتي تم إغلاقها على ما يبدو منذ الفتح الصلاحي وذلك لحماية أمن الأقصى الشريف من غزوات الصليبيين المتكررة .

وقد اصطلح عليها أثرياً: بالباب المنفرد والباب الثلاثي، والباب المزدوج الذي هو أهمها تاريخياً ومعمارياً .

ومن المحتمل أن يكون الباب المنفرد هو نفسه باب العين (نسبة لوجهته إلى عين سلوان) الذي ذكره خسرو.

وأما الباب الثلاثي فمن المحتمل أن يكون هو نفسه الباب الذي ذكره المقدسي باسم أبواب محراب مريم، ذلك ان الباب الثلاثي يتألف من ثلاثة عقود حجرية كونت ثلاث فتحات أو أبواب، فضلاً عن أنه يقوم بالقرب من محراب مريم الواقع في مسجد مهد عيسى في الجهة الجنوبية الشرقية للأقصى الشريف.

وأما الباب المزدوج وهو أهمها، والذي نرجح أن يكون هو نفسه الذي ذكره ابن الفقيه والمقدسي وخسرو باسم باب النبي، والذي ذكره ابن عبدربه باسم باب محمد.

لقد بات واضحاً أن تاريخ بناء هذا الباب يعود للفترة الأموية وذلك من خلال العناصر المعمارية والفنية التي يمتاز بها، وبخاصة الزخارف النباتية المنحوتة في الأفاريز الحجرية التي تعلو مدخلي الباب نفسه، والتي تشبه إلى حد كبير تلك الموجودة في أفاريز الباب الذهبي (باب الرحمة)، وكذلك قصر المشتى في الأردن واللذان يعودان للفترة الأموية.

ومن المعتقد أن هذا الباب (باب النبي)، كان مفتوحاً في الفترات الإسلامية المبكرة (الأموية والعباسية والفاطمية) حيث كان يؤدي إلى الرواقين أسفل المسجد الأقصى (اللذان عرفا بالأقصى القديم)، والذي ينتهي أحدهما إلى سلم حجري يتوصل من خلاله إلى ساحة الأقصى الشريف. فضلاً عن أنه كان باباً رئيساً يوصل ما بين دار الإمارة الأموية والمسجد الأقصى .

وأما الأبواب المغلقة الواقعة في الجهة الشرقية فهما اثنان:

الباب الذهبي وباب الجنائز:

ويعتبر الباب الذهبي من أقدم أبواب الأقصى الشريف وأضخمها عمارة، قوامه واجهتين معماريتين لرواقين أقيما على أعمدة رخامية أسطوانية. وقد عرفت الواجهة الخارجية المطلة إلى جهة الشرق باسم باب التوبة، والواجهة الداخلية المطلة إلى الغرب (على ساحة الأقصى) بباب الرحمة.

وقد عرف هذا الباب في المصادر التاريخية الإسلامية المبكرة باسم باب الرحمة وباب التوبة ما ورد عند ابن الفقيه، وابن عبد ربه، وبابي الرحمة كما ورد عند المقدسي.

وأما شهرته بالباب الذهبي، فقد عرفت على ما يبدو منذ الاحتلال الصليبي للقدس.

هذا وقد استخدم هذا الباب كجامع عرف بجامع الرحمة في أيام العمري وذلك لكونه مغلقاً . كما وبني فوقه زاوية كان قد أقام بها حجة الإسلام الإمام الغزالي والتي تم ذكرها عند مجير الدين حيث قال:

((وكان على علو هذا المكان الذي علي باب الرحمة زاوية تسمى الناصرية. وكان بها الشيخ نصر المقدسي يقرأ العلم مدة طويلة. ثم أقام فيها الإمام أبو حامد الغزالي. فسميت الغزالية. ثم عمرها الملك المعظم بعد ذلك (المقصود السلطان الملك المعظم عيسى الأيوبي). وقد خربت، و لم يبق الآن لها أثر سوى بعض بناء مهدوم)) .

ومن الجدير بالتنويه أنه قد لفقت حول هذا الباب القصص والروايات والأساطير الخيالية التي لا يتقبلها أي منطق .

وأما الباب الثاني المغلق والواقع في السور الشرقي للأقصى الشريف إلى الجنوب من الباب الذهبي هو باب الجنائز والذي سمي كذلك لخروج الجنائز منه قديماً إلى مقبرة الرحمة.

مآذن الأقصى الشريف

لم تسعفنا المصادر التاريخية عن ماهية وعدد مآذن المسجد الأقصى في الفترات الإسلامية المبكرة، ولكننا اليوم أمام أربع مآذن يعود تاريخ إنشائها للفترة المملوكية، حيث تقع ثلاثة منها على صف واحد في الجهة الغربية للأقصى الشريف. وأما الرابعة فتقع في الجهة الشمالية على مقربة من باب الأسباط، ومن المحتمل جدا أن هذه المآذن الأربعة، قامت على أساس وأنقاض قواعد المآذن الأموية للمسجد الأقصى المبارك.

ومن الملاحظ أن المآذن الأربعة أقيمت في الجهتين الشمالية والغربية، ذلك أن تمركز السكان في ذلك الوقت كان في تلكما الجهتين، فكان لكل مئذنة مؤذن واحد يقف على شرفة المئذنة وينادي بالآذان لإسماع السكان القاطنين في جهتي المدينة. وعلى ما يبدو أنه لم تكن أية مئذنة في الجهتين الجنوبية والشرقية والتي كانتا بمثابة سور للمدينة في ذلك الوقت .

وقد أنشئت مآذن الأقصى الشريف الأربعة التي نراها اليوم في عهد المماليك في الفترة الواقعة ما بين ٦٧٧-٧٦٩ هجرية/ ١٢٧٨ - ١٧٣٦ ميلادية)، حيث امتازت بشكل عام من الناحية المعمارية بمساقط مربعة الشكل تتألف من عدة طوابق، تنتهي بالأعلى للشرفة التي تعلوها القبة الصغيرة والتي تعرف بالخوذة أو المبخرة التي توجت بالهلال، ويصعد إلى شرفاتها بواسطة الدرج (السلم الحجري) الحلزوني الشكل والموجود بداخل المئذنة، وقد زخرفت مآذن الأقصى بزخارف مملوكية مختلفة أهمها المقرنصات التي زينت قواعد شرفاتها.

وقد لاقت مآذن الأقصى الشريف اهتماما شديدا من قبل المجلس الأعلى حيث دأب على الحفاظ عليها من خلال ترميماته المكثفة لها في الفترة ما بين (١٩٢٢-١٩٢٧).

وأما المآذن الأربعة فهي:

١) مئذنة باب المغاربة:

تقوم هذه المئذنة في الركن الجنوبي الغربي للأقصى الشريف، وتعرف كذلك بالمئذنة الفخرية نسبة للقاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلي الذي أشرف على بنائها خلال فترة وظيفته كناظر الحرمين الشريفين (في القدس والخليل) في سنة ٦٧٧ هجرية/ ١٢٧٨ ميلادية، في عهد السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركة خان (٦٧٦-٦٧٨ هجرية/ ١٢٧٧ — ١٢٨٠).

٢) مئذنة باب السلسلة:

تقوم هذه المئذنة في الجهة الغربية للأقصى الشريف بين باب السلسلة والمدرسة الأشرفية. وقد تم بناؤها في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثالثة (٨٠٩ — ٧٤١ هجرية/ ١٣٠٩-١٣٤٠ ميلادية)، على يدي نائبه الأمير سيف الدين تنكز الناصري سنة ٧٣٠ هجرية/ ١٣٢٩ ميلادية، وذلك وفق ما جاء بالنقش التذكاري الموجود في الجهة الشرقية من قاعدة المئذنة.

٣) مئذنة باب الغوانمة:

تقوم هذه المئذنة في الركن الشمالي الغربي للأقصى الشريف بجانب باب الغوانمة. وقد تم بناؤها في عهد السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين (٦٩٦-٦٩٨ هجرية/ ١٢٩٧-١٢٩٩ميلادية)، على يدي القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الذي أشرف على بناء مئذنة باب المغاربة.

وقد تم تجديدها في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في نفس تاريخ إنشائه لمئذنة باب السلسلة المذكورة سابقاً وعلى يدي نائبه الأمير سيف الدين تنكز. وقد عرفت مئذنة باب الغوانمة أيضاً بمنارة قلاوون.

٤) مئذنة باب الأسباط:

تقوم هذه المئذنة في الجهة الشمالية للأقصى الشريف، بين باب حطة وباب الأسباط، وقد تم بناؤها في عهد السلطان الملك الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨ هجرية/ ١٣٦٣-١٣٧٦ ميلادية) على يدي ناظر الحرمين الشريفين الأمير سيف الدين قطلوبغا في سنة ٧٦٩ هجرية/ ١٣٦٧ ميلادية، وذلك وفقاً للنقش التذكاري والذي كان موجوداً عليها.

المسجد الأقصى

يطلق اليوم اسم المسجد الأقصى على المسجد القائم في الناحية القبلية من ساحة الأقصى، ويبلغ طوله – من الداخل – ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً، وفي صدر المسجد القبة.
وللمسجد أحد عشر باباً، سبعة منها في الشمال وواحد في الشرق واثنان في الغرب وواحد في الجنوب. وقد بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام ٦٩٢ م وأتمه الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥م.

وللمسجد في الداخل ٥٣ عموداً من الرخام، ١٤ منها في الرواق الأوسط و١٢ في الأروقة الثلاثة الشرقية و ٨ تحت القبة و ١١ في جناح القبة من الشرق و ٧ في جناحها في الغرب وواحد في مقام الأربعين .

وللمسجد أيضاً ٤٩ سارية من الحجارة ٤ منها تحت القبة و١٢ في الرواق الغربي و ٤ في الرواق الشرقي و٣ في جناح القبة من الغرب والباقيات متفرقات. والسواري ضخمة ومربعة الشكل. وأما الأعمدة فإنها مصنوعة من الرخام المختلف الألوان. وفوق الأعمدة أقواس حجرية تتراوح فتحاتها بين ٨,٩١ و ٩,١٧ متراً، ثلاثة من الشرق، وأخرى مثلها من الغرب وواحد بينهما في الوسط، والرواق الأوسط واسع مرتفع وفي صدر المسجد القبة التي ترتفع ١٧ متراً عن الأرض وقد غطتها الفسيفساء الجميلة والتي تضم مظهراً جميلاً من مظاهر الفن، وللقبة قشرتين الداخلية التي تم ذكرها سابقاً أمام الخارجية للقبة فإنها عبارة عن ألواح خشبية مصفحة من الخارج بالرصاص.
والمسافة بين قشرتين القبة الداخلية والخارجية تتراوح بين ٧٥ سم عند الرقبة، ومتران ونصف المتر في الوسط وثلاثة أمتار في القمة عند الهلال.

وهناك رقبة القبة، وهي القسم الأسطواني القائم بين القبة نفسها والأقواس التي ترتكز عليها.. وفوق الرقبة تقوم القبة، وهي قائمة على أربعة أقواس. يرتكز كل ركن من أركانها الأربع على عمودين من رخام، وأسطوانة مربعة مكسوة أيضاً بالرخام.

وتحت القبة وفي أقصى المسجد من القبلة، محراب كبير، كان يسمى فيما مضى محراب داود ويطلق عليه الآن محراب عمر. وفي صدر المسجد من الغرب وفي داخل المقصورة المصنوعة من الحديد المشتبك محراب آخر — يسمى — محراب معاوية، وفي داخل المسجد، عند زاويته القبلية الشرقية جامع متصل به، يسمونه جامع عمر وهو مستطيل الشكل، ويقال — أنه من بقية البناء الذي أقامه الخليفة عمر بن الخطاب — وهو جامع معقود بالحجارة والكلس طوله ٣٠ متراً وعرضه ٨ أمتار وفيه محراب صغير وحول المحراب أربعة أعمدة صغيرة اثنان منها ملتويان.

وإلى الشمال من جامع عمر إيوان كبير يسمونه مقام عزيز ويسمونه أيضاً مقام الأربعين فيه محراب .. وإلى الشمال من مقام عزيز إيوان صغير وجميل فيه محراب زكريا، طوله ٦ أمتار وعرضه خمسة.. وفي الجانب الغربي إلى القبلة جامع آخر يسمونه جامع النساء .. وهو عبارة عن عشر قناطر على تسع صوار في غاية الإحكام.

وأمام المسجد من الناحية الشمالية رواق كبير .. وهو مؤلف من سبع قناطر مقصورة، كل قنطرة منها تنتهي عند باب من أبواب المسجد السبعة.
وفي المسجد الأقصى ١٣٧ نافذة، ٧ منها في القبة، وهي كبيرة صنعت من الزجاج الملون ينفذ منها نور ضئيل. و٤٢ في الرواق الأوسط نصفها تطل على الرواق الشرقي والنصف الآخر على الرواق الغربي، والنور ينفذ منها كلها. ذلك لأن الرواق الأوسط أعلى من الرواقين المذكورين. و ٤٣ في حائط المسجد الشرقي، و٢٤ منها بالزجاج الملون و١٠

من غير زجاج ينفد منها النور. و١٤ في حائطه الغربي، اثنان كبيرتان ينفد منها النور و ١٢ بالزجاج الملون. و ١٦ في الحائط الشمالي كلها بالزجاج الملون. و٢٤ في الحائط القبلي، و ٢٢ بالزجاج الملون.

ويوجد تحت المسجد الأقصى بناء يسمى (الأقصى القديمة) وهو عبارة عن دهليز واسع طويل، يتألف من سلسلة عقود ترتكز على أعمدة ضخمة بعضها أسطواني، والبعض الآخر مربع الشكل وهناك إلى جانب هذا الدهليز، دهليز آخر — يسمى — إسطبل سليمان، وهو واقع تحت الجزء المرصوف من أرض الأقصى شرقي المسجد الأقصى، وجزء آخر منه يقع تحت المسجد نفسه.

قبة الصخرة

تعتبر قبة الصخرة إحدى أهم المعالم المعمارية الإسلامية في العالم: ذلك أنها إضافة إلى مكانتها الدينية، تمثل أقدم نموذج في العمارة الإسلامية من جهة. ولما تحمله من روعة فنية وجمالية تطوي بين زخارفها بصمات الحضارة الإسلامية على مر فتراتها المتتابعة من جهة أخرى، حيث جلبت انتباه واهتمام الباحثين والزائرين وجميع الناس من كل بقاع الدنيا لما امتازت به من تناسق وانسجام بين عناصرها المعمارية والزخرفية حتى اعتبرت آية من في الهندسة المعمارية.

وقد وضع تصميم مخطط قبة الصخرة على أسس هندسية دقيقة ومتناسقة تدل على مدى إبداع العقلية الهندسية الإسلامية، حيث اعتمد المهندس المسلم في تصميم هيكلها وبنائها على ثلاث دوائر هندسية ترجمت بعناصر معمارية لتشكل فيما بعد هذا المعلم والصرح الإسلامي العظيم. وما العاصر المعمارية الثلاثة التي جاءت محصلة تقاطع مربعين متساويين فهي: القبة التي تغطي الصخرة وتحيط بها، وتثمينتين داخلية وخارجية تحيطان بالقبة نتج فيما بينهما رواق داخلي على شكل ثماني الأضلاع.

تتوسط قبة الصخرة تقريباً ساحة الأقصى الشريف، حيث تقوم على فناء (صحن) يرتفع عن مستوى ساحة الأقصى حوالي ٤م، ويتوصل إليها من خلال البوائك (القناطر) التي تحيط بها من جهاتها الأربع .

فأما القبة التي جاءت بمثابة الدائرة المركزية التي تحيط بالصخرة فإنها تجلس على رقبة تقوم على أربع دعامات حجرية (عرض كل منها ثلاثة أمتار) واثني عشر عمـــوداً مكســـوة بالرخام المعرق، تحيط بالصخرة بشكل دائري ومنسق بحيث يتخلل كل دعامة حجرية ثلاثة أعمدة رخامية. وتتكون القبة من طبقتين خشبيتين داخلية وخارجية وقد نصبتا على

إطار خشبي يعلو رقبة القبة. كما زينت القبة من الداخل بالزخارف الجصية المذهبة، وأما من الخارج فقد صفحت بالصفائح النحاسية المطلية بالذهب.
وأما رقبة القبة فقد زينت من الداخل بالزخارف الفسيفسائية البديعة، كما فتح فيها ست عشرة نافذة لغرضي الإنارة والتهوية.
وأما التثمينة الداخلية فتحتوي على ثماني دعامات حجرية يتخللها بين كل دعامة وأخرى عمودان من الرخام تعلوها عقود نصف دائرية متصلة ببعضها البعض بواسطة جسور خشبية مزخرفة، حيث زينت هذه العقود بالزخارف الفسيفسائية المطلية بالذهب.
وأما التثمينة الخارجية فتتألف من ثماني واجهات حجرية، فتح في أربع منها المقابلة للجهات الأربع باب، كما فتح من كل واجهة منها خمسة شبابيك. وقد كسيت الواجهات من الداخل بالبلاط الرخامي الأبيض.

وأما من الخارج فقد كسي القسم السفلي للواجهات بالبلاط الرخامي الأبيض. وأما من الخارج فقد كسي القسم السفلي للواجهات بالبلاط الرخامي الأبيض والقسم العلوي بالقاشاني، علماً بأنها كانت مكسوة بالفسيفساء المزخرفة في الفترة الأموية. كما تم تغطية سقفي الرواقين الممتدين من التثمينة الخارجية وحتى القبة بجمالونات خشبية صفحت من الداخل بألواح خشب دهنت وزخرفت بأشكال مختلفة، وأما من الخارج فقد صفحت بألواح من الرصاص.

وأما القياسات الهندسية لأبعاد القبة فقد جاءت على النحو التالي:
قطر القبة الداخلي (٢٩,٤٤م) وارتفاع رقبتها (٩,٨م). قطر المبنى بشكل عام (٥٢م) وارتفاعه (٥٤م) وأما أضلاع المثمن فيبلغ طول كل منها (٢٠,٦٠م) على ارتفاع (٩,٥م). علماً بأن أبعاد الصخرة نفسها (١٧,٧٠م و ١٣,٥٠م). ويقوم أسفل الصخرة كهف صغير يعرف بالمغارة، مربع الشكل تقريباً (٤,٥ م٢) ومتوسط ارتفاعه ٣ م، وقد

أقيم في جهته القبلية محرابان، أحدهما وهو الواقع في الجانب الشرقي للمغارة يعود إلى تاريخه للفترة الأموية والثاني في الجانب الغربي لها والذي يعود تاريخه لفترات متأخرة.

وعندما احتل الصليبيون بيت المقدس سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م، قاموا بتحويل مسجد قبة الصخرة إلى كنيسة عرفت بذلك الوقت باسم "هيكل السيد العظيم/ (Temple Domini) فانتهكوا قدسيتها وبنوا فوق الصخرة مذبحاً ووضعوا فيها الصور والتماثيل. مبيحين في ذلك ما حرمه الإسلام في أماكنه المقدسة .

ومن الطريف بالأمر أن قساوسة ذلك الوقت اعتادوا على المتاجرة بأجزاء من الصخرة، كانوا يقتطعوها من الصخرة ليبيعوها للحجاج والزوار ليعودوا بهذه القطع إلى بلادهم بحجة التبرك والتيمن بها. وعلى ما يبدو أنها كانت تجارة رابحة جداً للقساوسة، حيث كانون يبيعون تلك القطع بوزنها ذهباً، الأمر الذي حدا بملوك الفرنج إلى كسوة الصخرة بالرخام وإحاطتها بحاجز حديدي مشبك لحمايتها والإبقاء عليها خوفاً من زوالها إذا استمر القساوسة بهذه التجارة.

زخارف قبة الصخرة:

إن أساليب الفنون والزخارف الإسلامية في قبة الصخرة تنطوي على النظرة الإسلامية المجردة التي وضعت حداً للفنون القديمة ومعالمها الوثنية، وأظهرت الفنون الإسلامية من خلال لوحات الفسيفساء الجدارية بأسلوب فلسفي هادى، وقد اعترف علماء الغرب بأنه فن عربي أصيل، ولهذا أطلقوا عليه اسم فن الأرابسك.

فقد استطاع الفنان المسلم أن يزين ويحلي قبة الصخرة بعدة أنواع من الزخارف، نذكر أهمها: الزخارف الفسيفسائية، الزخارف الرخامية، الزخارف الخشبية، الزخارف القاشانية والخطوط كعنصر زخرفي إلى جانب وظائفه التوثيقية .

الزخارف الفسيفسائية:

أما الزخارف الفسيفسائية والتي تعرف بالفسيفساء فهي عبارة عن قطع زجاجية ملونة ذهبية تميل في شكلها إلى المربعات الصغيرة، حيث اشتهرت كعنصر زخرفي في تجميل العمائر الهندسية في العصر البيزنطي والعصر الأموي.
ويعود تاريخ فسيفساء قبة الصخرة إلى الفترة الأموية – فترة تأسيس وبناء قبة الصخرة.
حيث استخدم الفنان المسلم الفسيفساء ليضفي جمالاً أخاذاً وبريقاً لماعاً، بتغطيته المساحات الواسعة المرئية والتي لو لم يقم بتغطيتها بالفسيفساء لبدت للناظر جوفاء ومملة.
وقد استطاع هذه الفنان أن يجسد روح العقيدة الإسلامية من خلال تصميماته للوحات الفسيفسائية هذه، فكان لزاماً عليه أن لا يجسد أي تصوير لإنسان أو حيوان وذلك تماشياً مع الإسلام الذي يحرم تجسيد الأشخاص والحيوانات، فاستعاض بذلك بعناصر زخرفية أهمها النباتات والأشجار والفواكه والأوراق النباتية مختلفة الأنواع والأشكال وورق الأكانشس والمجوهرات بجميع أنواعها والمزاهر (المزهريات) والأشكال الهندسية والخط، جاءت كلها لتكون مواضيع الرسالة التي أراد الفنان إبراقها للناظرين إليها والمتمعنين بها.

فأما النباتات فقد اشتملت على أشجار مختلفة الأنواع كالنخيل والزيتون والرمان والتين واللوز وثمار أخرى مختلفة ألوانه، وفواكه متنوعة وموضوعة في سلال أو صحون وكذلك عروق النباتات التي فاضت من المزاهر، تلك المزهريات (جمع مزهرية) التي زينت أجسامها بمختلف المجوهرات والحلي مثل العقود والأساور والتيجان والأقراط والأهلة والنجوم،

المفصصة جميعها بالأحجار الكريمة والثمينة مثل اللؤلؤ (الذي نراه باللون الفضي البراق) وغيرها، حيث ظهرت هذه العناصر في وجهي التثمينة الداخلية من الداخل والخارج .

وكأن الفنان يريد أن يذكرنا بتصويراته هذه، الأشياء الموجودة في الجنة التي وعد الله بها المؤمنين والتي تم وصفها في القرآن الكريم وجاء فيها من أشجار وثمار مختلفة الألوان ومجوهرات ثمينة وقصور .. الخ.

كما أنه ركز على تصوير التاج بصورة مكررة، والذي صممه بشكليه البيزنطي الذي يظهر في الوجه الداخلي للتثمينة الداخلية، والساساني (الفارسي) المعروف بالتاج ذي الأجنحة والذي يظهر في القبة من الداخل. وكأن الفنان أراد هنا أن يذكر بنصر الإسلام (الدولة الإسلامية) على القوتين العظميين البيزنطية والفارسية في ذلك الوقت فرمز إليهما بتيجانيهما والتي تشير إلى السلطة والملكية.

أما العنصر الثالث الذي استخدمه الفنان المسلم في تصميم لوحاته الفسيفسائية، فهو الخط، حيث قام بعمل زنّارين بطول ٢٤٠ م٢، يقومان أعلى التثمينة الداخلية من الداخل والخارج، زينهما بكتابات بالخط الكوفي البسيط والمعمولة بالفسيفساء المذهبة على خلفية (أرضية) زرقاء.

إن أهمية استخدام هذا العنصر تكمن في قدمها، حيث تعتبر أقدم كتابة توثيقية لمعلم حضاري يعود تاريخه للفترة الأموية (٧٢هجرية/ ٦٩١ ميلادية) من جهة، وأما من جهة أخرى فإن مضمون ما جاءت من آيات قرآنية فيها ليعكس أهمية الرسالة التي أراد الفنان المسلم أن يوصلها للناظرين في ذلك الوقت، حيث اختار نصوص آيات من القرآن الكريم الدالة على وحدانية الله سبحانه وتعالى والتي نجدها في سورة الإخلاص، وما تيسر من

سورة مريم التي تذكر سيدنا عيسى ﷺ ، مبيناً مكانته في الإسلام كرد على ما جاء في النصرانية من معتقدات مثل الثالوث النصراني (الأب والابن والروح القدس) التي كانت شائعة في ذلك الوقت وحتى يومنا الحاضر، فقد كان هذا الصراع العقائدي في أوجه في الفترة الأموية حتى أن الأمويين اهتموا به وردوا عليه من خلال الآيات القرآنية التي تدل عليه، ومن خلال الركن الأول من أركان الإسلام ألا وهو الشهادتان، (لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله)، حيث إنهم كرروا هذا الركن في معظم أمورهم المادية، فهم أول من عربوا النقود الإسلامية (السكة) ضاربين على وجهي الدينار والفلس سورة الإخلاص، وعلى ظهريهما الشهادتين مركزين في ذلك على جوهر العقيدة الإسلامية.

الزخارف الرخامية:

لقد استخدم الفنان المسلم المادة الرخامية في زخرفة قبة الصخرة بشكل ملفت للنظر، حيث استخدمها في الأعمدة وتيجانها وفي تكسية الواجهات الداخلية والخارجية للتثمينة الخارجية وكذلك في تكسية الدعامات الحجرية، ولكن ثمة عنصر آخر شكله من المادة الرخامية أيضاً وهو الأفاريز الرخامية (الإطارات) التي علت الدعامات الحجرية المكسية بالرخام، وكذلك الواجهات الداخلية للتثمينة الخارجية، حيث جاءت هذه الأفاريز الرخامية المحفورة والمزخرفة بزخارف نباتية وهندسية، متجانسة إلى حد كبير مع الزخارف الفسيفسائية من ناحية ألوانها وموضوعات زخرفتها. وقد عرف أسلوب عمل هذه الأفاريز الرخامية باسم (Champelve)، حيث اشتهر في العصرين البيزنطي والأموي. وأن جميع هذه الأفاريز الرخامية الموجودة في قبة الصخرة، لتعود إلى الفترة الأموية متزامنة مع تاريخ بنائها سنة ٧٢هجرية/ ٦٩١ ميلادية .

ويجدر الإشارة أيضاً إلى الزخارف الخشبية التي جاءت أيضاً متجانسة في عناصرها وموضوعاتها مع الزخارف الفسيفسائية والرخامية في قبة الصخرة.

الزخارف القاشانية:

القاشاني هو ذلك الأجر المزجج والملون والذي يعرف في بلادنا بالبلاط الصيني. وقد استخدم لأول مرة في عمارة قبة الصخرة في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني الذي قام باستبدال الزخارف الفسيفسائية التي كانت تغطي واجهات التثمينة الخارجية منذ العهد الأموي، بالبلاط القاشاني المزجج والملون وذلك في سنة ٩٥٩هجرية/ ١٥٥٢ ميلادية.

وقد استطاع الفنان المسلم أن يجسد روح العقيدة الإسلامية أيضاً في هذا العصر الزخرفي وذلك باستخدامه مواضع مشابهة لتلك الموجودة في الزخارف الفسيفسائية بالداخل والتي تمثلت بالعناصر النباتية والهندسية والخط الإسلامي .

صحن قبة الصخرة:

المقصود بصحن قبة الصخرة هو الساحة الخارجية أو الباحة التي تحيط بمبنى قبة الصخرة، والتي ترتفع عن أرضية الأقصى الشريف ١٢ قدم (٤م). ويتوصل إليها عن طريق مراق (درج)، توجت بقناطر حجرية تتألف من مجموعة عقود حجرية تقوم على أعمدة رخامية عرفت باسم "الموازين". وقد أشار المقدسي إلى وجود أربع مراق في صحن الصخرة، حيث يقول في وصفه للمسجد الأقصى ما نصه: ((.. والصحن مبلط – يقصد ساحة الأقصى – وسطه دكة – يقصد فناء الصخرة – مثل مسجد يثرب يصعد إليها من الأربع

جوانب في مراق واسعة ..)) وأما ابن الفقيه فقد أشار إلى وجود ست مراق تؤدي إلى صحن الصخرة.
ومن المحتمل أن تاريخ تأسيس وبناء هذه الموازين يعود للفترة الأموية حيث صممت لتفي بالغرض الجمالي والهندسي وهو ملء الفراغ الموجود في صحن قبة الصخرة ليتجانس مع مخططها الهيكلي من جهة، وللغرض التوجيهي وهو الإشارة والدلالة إلى مداخلها من جهة أخرى.

وبعد أن تعرفنا على المكونات المعمارية والزخرفية لمسجد وقبة الصخرة، فلنا أن نتساءل عن السبب الكامن وراء بناء قبة الصخرة بهذه الفخامة والعظمة.
فمما لا شك فيه أن السبب المباشر في بناء هذه القبة هو السبب الديني حيث لولا وجود "الصخرة" بالتحديد التي يقال أن رسول الله ﷺ عرج عنها، أو في هذه البقعة عموما حسب ما هو مثبت في العقيدة الإسلامية لما ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والروايات التاريخية المنقحة، فلولا وجود هذه الصخرة كرمز ديني إسلامي ارتبطت بمعجزة الإسراء والمعراج لما قدم الخليفة عبد الملك بن مروان ليشيد هذه القبة فوقها.
ولكننا نتساءل هل كان ضروريا أن يبنيها بهذه العظمة والفخامة، إذ كان يستطيع أن يبنيها بشكل أبسط وغير مكلف، ولكن إذا أمعنا النظر بالظروف التي أحاطت بتلك الفترة عشية بناء القبة وحللناها نجد أنه كان لا بد لأمير المؤمنين الخليفة عبد الملك بن مروان أن يبني هذه القبة بهذا الشكل لإظهار عظمة وقوة الخلافة الإسلامية الحديثة في حينها أمام القوتين العظميين الفرس والروم. ذلك أنه إبان الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام، كان السكان في هذه البلاد إما نصارى أو وثنيين ومنهم من دخل الإسلام مع الفتوحات، ولكنهم بقوا ضعفاء الإيمان فكيف لا وهم اعتادوا على رؤية الحضارة البيزنطية تتألق من خلال مبانيها الفخمة مثل الكنائس والقلاع وخاصة كنيسة القيامة في القدس الشريف وكنيسة المهد في بيت لحم. فما كان للخليفة الأموي إلا أن يبني هذه

القبة العظيمة محاكيا فيها العمارة البيزنطية ليبين ويثبت للسكان مدى وقوة الدولة الإسلامية الجديدة .

وقد أكد هذا السبب المؤرخ الجليل المقدسي المتوفى عام ٩٨٥م حينما وضحه أثناء مناقشته مع عمه (البناء) بخصوص العمارة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وولده الوليد، حيث يقول في ذلك ما نصه على لسان عمه ((.. ألا ترى أن عبد الملك لما رأى عظم قبة القمامة (القيامة) وهيئتها خشي أن تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبة على ما ترى ..)) .

قالوا عن مسجد الصخرة:

لم يكن لدى مهندسي العالم البارعين إلا الاعتراف بهذا الإبداع المثالي في التناسق والجمال الذي ليس له مثيل في الدنيا، ومن أشهر هؤلاء المهندسين:هايتر لويس، الذي قال: «**إن بناء قبة الصخرة في القدس هي أجمل المباني التي خلدها التاريخ**»، كما ذكرها ماكس فان برشم: «**لعل عظمتها وجمالها يعودان لما نشاهده في مخططها من البساطة والتنسيق، حقا إنها مفخرة العمارة الإسلامية**».

هذا وأشاد غوستاف لوبون المؤرخ الفرنسي المشهور بقوله: «**إن بناء قبة الصخرة أعظم بناء يستوقف الناظر، وأن جمالها وروعتها لا يصلان إلى خيال بني البشر**».

أما العلامة كرزويل فذكر أن **لمخطط بناء قبة الصخرة خصوصية نادرة في تاريخ العمارة الإسلامية، فقد أذهلت كل من حاول دراستها من حيث فخامتها وسحرها وتناسق أقسامها ودقة النسب الهندسية فيها**.

أروقة الأقصى الشريف

لم تسعفنا المصادر التاريخية بإعطائنا وصفاً لأروقة الأقصى الشريف في الفترات الإسلامية المبكرة، باستثناء الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار المسجد الأقصى قبل الاحتلال الصليبي له، والذي أشار إلى وجود رواق في الجهة الشرقية للأقصى الشريف، ولكنه تهدم واندثر جراء الهزات الأرضية التي حدثت في القدس.

ولكننا اليوم أمام رواقين قائمين في الجهتين الشمالية والغربية للأقصى الشريف واللذين من المحتمل أن يكونا قد أقيما على أساسات أروقة الأقصى الشريف الأصلية والقديمة التي تعود للفترات الإسلامية المبكرة. وقد عرفا بالرواقين: الشمالي والغربي.

وقد أقيمت الأروقة لغرضي الصلاة والتدريس، حيث يتقي المصلون والدارسون تحتها حرارة الشمس في أيام الصيف والأمطار الغزيرة في أيام الشتاء.

الرواق الشمالي

وهو الذي يقوم في الجهة الشمالية للأقصى الشريف ممتدا من الشرق إلى الغرب، والذي يتألف من عقود حجرية تقوم على دعامات حجرية متتابعة غطيت بسلسلة من الأقبية المتقاطعة، وقد تخللها ثلاثة من أبواب الأقصى الشريف وهي باب الأسباط وباب حطة وباب العتم، إضافة إلى مئذنة باب الأسباط.

وقد تم إنشاء وتعمير هذا الرواق في الفترة ما بين (٦١٠-٧٦٠ هجرية/ ١٢١٣-١٣٥٨ ميلادية)، حيث تم تعمير قسم منه في الفترة الأيوبية في عهد السلطان الملك العظيم عيسى، وهو القسم الذي يقع ما بين باب العتم والمدرسة الفارسية وذلك حسب ما ورد في النقش التذكاري الموجود قرب باب العتم.

وأما بقية الرواق فقد تم إنشاؤه على مراحل متتابعة في الفترة المملوكية، كما وبني فيه وفوقه مجموعة من المدارس الدينية المملوكية والتي أكسبته رونقا وجمالا من خلال واجهاتها المعمارية التي تعكس التطور المعماري للأقصى الشريف في الفترة المملوكية.
وقد بلغت المدارس الدينية التي احتضنت في قلب هذا الرواق والقائمة فيه وعليه حتى يومنا هذا تسع مدارس وسنوردها بالترتيب من الشرق إلى الغرب كالآتي:

١) المدرسة الغادرية:

الواقعة بين باب حطة وباب الأسباط، والتي بنيت في عهد السلطان الأشرف بارسباي في سنة ٨٣٦ هـ، على يدي "مصر خاتون" زوجة الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر.
وتقوم اليوم دائرة الأوقاف الإسلامية بترميمها لتكون صالحة لاستخدامها كمكاتب لها.

٢) المدرسة الكريمية:

الواقعة بباب حطة، والتي بنيت في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، والتي أوقفت على يدي الصاحب كريم الدين بن عبد الكريم بن المعلم هبة الله في سنة ٧١٨ هـ، وتعرف اليوم بدار جار الله الذين ما زالوا يرابطون فيها.

٣) المدرسة والتربة الأوحدية:

الواقعة بباب حطة إلى الشرق من المدرستين الدوادارية والباسطية. وقد أوقفها الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين في سنة ٦٩٧ هجرية/ ١٢٩٨ ميلادية وتعتبر أقدم نموذجا للترب (جمع تربة) الأيوبية التي أقيمت في الفترة الأيوبية وبخاصة في الرواق الشمالي للأقصى الشريف.

٤) المدرسة الباسطية :

الواقعة فوق الرواق مقابل المدرسة الدوادارية. وقد أوقفت على يدي القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي في سنة ٨٣٤ هجرية/ ١٤١٣ ميلادية، هذا ويستخدم قسم منها اليوم كمدرسة (مدرسة البكرية للبنين) والقسم الآخر كبيت سكن لإحدى العائلات المقدسية.

٥) المدرسة الدوادارية :

الواقعة بباب العتم والتي بنيت على يدي الأمير علم الدين أبو موسى سنجر الداوادار (أي صاحب دواة السلطان وهو ما يعادل السكرتير الخاص به) وذلك في سنة ٦٩٥ هجرية/ ١٢٩٥ ميلادية، وهي اليوم مقراً للمدرسة البكرية الابتدائية للبنات.

٦) المدرسة الأمينية:

تقع المدرسة أو الزاوية الأمينية بقرب باب العتم بالنسبة للطابقين الأرضي والأول منها، وفوق الرواق الشمالي للأقصى الشريف إلى الشرق من المدرسة الفارسية بالنسبة إلى الطابقين الثاني والثالث منها.

قام بإنشاءها الصاحب أمين الدين عبد الله سنة ٧٣٠ هجرية/ ١٣٢٩ ميلادية في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون خلال سلطنته الثالثة (٧٠٩ —٧٤١ هجرية/ ١٣٠٩-١٣٤٠ ميلادية)، حيث تم ذكرها عند المؤرخين مثل ابن فضل الله العمري وكذلك مجير الدين الحنبلي.

٧) المدرسة الفارسية:

تقع فوق الرواق الشمالي للأقصى الشريف، بين المدرستين الأمينية والأملكية.
وقد أنشأها الأمير فارس ألبكي بن الأمير قطلو ملك بن عبدالله نائب السلطنة بالأعمال الساحلية والجبلية ونائب غزة، وذلك في تاريخ ٧٥٣ هجرية/ ١٣٥٢ ميلادية، وذلك في عهد السلطان الملك الناصر حسن خلال سلطنته الثانية.

٨) المدرسة الأملكية:

تقع المدرسة الأملكية في الرواق الشمالي للأقصى الشريف بين المدرستين الفارسية من الجهة الشرقية والأسعردية من الجهة الغربية. هذا وتمثل عمارة المدرسة الأملكية متحفا للعمارة المملوكية في القدس حيث اشتملت على معظم العناصر المعمارية المملوكية.
قام بإنشاء المدرسة الأملكية والتي تعرف أيضا باسم "مدرسة الجوكندار"، الحاج آل ملك الجوكندار (وهو من رجالات الدولة المملوكية حيث شغل مناصب متعددة) في سنة ٧٤١ هجرية/ ١٣٤٠ ميلادية في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون خلال سلطنته الثالثة (٧٠٩ –٧٤١ هجرية/ ١٣٠٩-١٣٤٠ميلادية).

٩) المدرسة الأسعردية:

الواقعة فوق الرواق إلى الغرب من المدرسة المالكية. وقد أوقفت على يدي مجد الدين أبي بكر بن يوسف الأسعردي في سنة ٧٦٠ هجرية/ ١٣٥٩ ميلادية، وتستخدم اليوم كدار للسكن حيث يرابط فيها جماعة من آل البيطار.

هذا وقد ذكر مجير الدين ثلاثة مدارس أخرى كانت تقوم فوق القسم الشرقي من الرواق الشمالي للأقصى الشريف وتهدمت وأزيلت مع مرور الزمن، وهي الحسنية والطولونية والفخارية.

الرواق الغربي

وهو الذي يقوم في الجهة الغربية للأقصى الشريف ممتدا من الشمال (باب الغوانمة) إلى الجنوب (باب المغاربة)، والذي يتألف من سلسلة عقود حجرية أقيمت على دعامات حجرية متتابعة، غطيت بسلسلة من الأقبية المتقاطعة، والذي تخللها أبواب الأقصى الشريف السبعة ومئذنتي باب الغوانمة وباب السلسلة.

وقد تم إنشاء هذا الرواق في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون خلال فترة سلطنته الثانية (٦٩٨-٧٠٨ هجرية/ ١٢٩٩-١٣٠٩ ميلادية) والثالثة (٧٠٩-٧٤١ هجرية/ ١٣٠٩-١٣٤٠ ميلادية)، والذي قام بتعميره على فترات متتابعة ما بين (٧٠٧-٧٣٧ هجرية/ ١٣٠٧-١٣٣٦ ميلادية)، حيث تم إنجاز القسم الأول منه (الشمالي) في سنة ٧٠٧ هجرية وذلك حسب النقش التذكاري الموجود بباب الناظر.

والقسم الثاني (الجنوبي) في سنة ٧١٣ هجرية/ ١٣١٣ ميلادية وذلك حسب النقش التذكاري الموجود بباب السلسلة

ومن الجدير بالإشارة إلى أنه قد جرى على الرواق الغربي بكامله ترميمات وإصلاحات عديدة في الفترة العثمانية.

وتقوم في الرواق الغربي فضلا عن الأبواب والمآذن، خمس من المدارس الدينية والتي جاءت على الترتيب من الشمال إلى الجنوب كالآتي:

١) المدرسة المنجقية:

الواقعة بباب الناظر فوق الرواق الغربي للأقصى الشريف والتي تم إنشاؤها على يدي الأمير سيف الدين منجك في سنة ٧٦٢ هجرية/ ١٣٦١ ميلادية، وهي اليوم مقر دائرة الأوقاف الإسلامية العامة.

٢) المدرسة الأرغونية:

الواقعة بباب الحديد (باب أرغون) في الرواق الغربي للأقصى الشريف والتي تم إنشاؤها على يدي الأمير أرغون الكاملي في سنة ٧٥٩ هجرية/ ١٣٥٨ ميلادية وأكملت عمارتها على يدي الأمير ركن الدين بيبرس السيفي في نفس التاريخ، وتعرف اليوم بدار العفيفي.

٣) المدرسة الخاتونية:

الواقعة إلى الجنوب من المدرسة الأرغونية، والتي أنشأتها وأوقفتها السيدة أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية في سنة ٧٥٥ هجرية/ ١٣٥٤ ميلادية ثم أكملت عمارتها على يدي السيدة أصفهان شاه بنت الأمير قزان شاه في سنة ٧٨٢ هجرية/ ١٣٨٠ ميلادية، وتعتبر هذه المدرسة إحدى المدارس التي أنشئت على يدي الأمراء والسلاطين في القدس والتي لم يتعدى عددها عن الثلاث مدارس، وتعرف اليوم بدار الخطيب .

٤) المدرسة العثمانية:

الواقعة بباب المطهرة إلى الشمال من المدرسة الأشرفية فوق الرواق الغربي للأقصى الشريف والتي تم إنشاؤها ووقفها على يدي السيدة أصفهان شاه خاتون ابنة الأمير محمد الشهيرة بخاتم وذلك في سنة ٨٤٠ هجرية/ ١٤٣٧ ميلادية، وتعرف اليوم بدار الفتياني .

٥) المدرسة الأشرفية:

لقد وصفت المدرسة الأشرفية **بالجوهرة الثالثة في الأقصى الشريف**، بعد قبة الصخرة والمسجد الأقصى المبارك.

تقع المدرسة الأشرفية في الرواق الغربي للأقصى الشريف بين بابي السلسلة والمطهرة.

وقد امتازت المدرسة الأشرفية بغناها بالعناصر المعمارية والزخرفية حتى غدت متحفا في تاريخ العمارة المملوكية في القدس ، حيث وضع المعماري المملوكي كل ما في جعبته من عناصر في مدخلها، في مدخلها الرئيسي والسقيفة التي تتقدمه وكذلك في الطابق الأول.

يعود تاريخ عمارة المدرسة الأشرفية للمرة الأولى في عهد السلطان الملك الظاهر خشقدم (٨٦٥-٨٧٢ هجرية/ ١٤٦١-١٤٦٧ ميلادية)، وقد حال دون إتمامها وفاة السلطان خشقدم في سنة ٨٧٢ هجرية.

هذا ولم يكن بناء المدرسة في هيأته الحالية، وإنما كان عاديا مثل معظم المدارس المملوكية في القدس .

وعندما زار السلطان الملك الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١ هجرية/ ١٤٦٨-١٤٩٦ ميلادية)، القدس سنة ٨٨٠ هجرية والذي اشتهر بولعه بالعمارة والبناء، لم تعجبه هيئة المدرسة الخشقدمية، فأمر بهدمها وإعادة بنائها من جديد بوضع يتناسب وعظمة الأقصى الشريف، حيث تم الفراغ من بنائها في سنة ٨٨٧ هجرية/ ١٤٨٢ ميلادية.

قباب الأقصى الشريف

تقوم في ساحة الأقصى الشريف عدة قباب، والتي تم تعميرها في الفترات الإسلامية: الأيوبية والمملوكية والعثمانية، حيث بنيت معظمها لتكون مقراً للتدريس أو داراً للعبادة والاعتكاف أو تخليداً لذكرى حدث معين. هذا وقد انتشرت هذه القباب في صحن قبة الصخرة وساحة الأقصى الشريف. ونعرض لكل منها عرضاً موجزاً:

فأما القباب الواقعة في ساحة الصخرة فهي:

١) قبة السلسلة:

تقوم هذه القبة إلى الشرق من قبة الصخرة تماماً، حيث لا يتجاوز بعدها عنها بضعة أمتار. بنى هذه القبة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٦٨ هجرية/ ٦٨٥-٧٠٥ ميلادية)، في نفس الفترة التي بنى فيها قبة الصخرة (٦٦-٧٢ هجرية) .

ويرجح أن يكون السبب في بناء قبة السلسلة أن تكون مقراً للمعماريين الذين أشرفوا على بناء قبة الصخرة لتقيهم من حرّ الشمس في الصيف وشدة المطر في الشتاء، ذلك أن فترة بناء قبة الصخرة لم تكن قصيرة نسبياً فقد دامت أكثر من ست سنوات (٦٦ -٧٢ هجرية). وبمعنى آخر، كانت تستخدم كمكتب لإدارة شؤون إعمار قبة الصخرة ذلك الصرح المعماري العظيم الذي كلف من الجهد والوقت والمال الكثير الكثير،الذي احتاج بالضرورة لمثل هذا الديوان الإداري لتنظيم شؤون إعماره حسب الأصول المرعية في ذلك الوقت.

٢) قبة المعراج :

تقوم هذه القبة غربي قبة الصخرة إلى الشمال، وعلى ما يبدو التاريخ الأصلي لإنشاء هذه القبة يعود للفترات الإسلامية المبكرة، ولكننا اليوم أمام القبة التي أعيدت عمارتها في الفترة الأيوبية في عهد السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر (٥٩٦ –٦١٥ هجرية/ ١٢٠٠ –١٢١٨ ميلادية) في سنة ٥٩٧ هجرية، بإشراف الأمير الزنجيلي متولي القدس، وذلك حسب ما يشير إليه النقش التذكاري الذي يعلو مدخلها الرئيسي.

٣) قبة النبي:

تقوم هذه القبة بين قبتي الصخرة والمعراج، ويقال أنها بنيت في الموقع الذي صلى النبي ﷺ فيه بالأنبياء والملائكة (لم أقف على دليل ثابت على ذلك)، ومن المحتمل أن التاريخ الأصلي لإنشاء هذه القبة يعود للفترات الإسلامية المبكرة.

ولكننا اليوم أمام تلك القبة المحمولة على أعمدة من الرخام والمفتوحة الجوانب، والتي أعيد تعميرها في الفترة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد الأول (١٢٥٥-١٢٧٧ هجرية/ ١٨٣٩-١٨٦١ ميلادية) في سنة ١٢٦١ هجرية.

وقد بنيت هذه القبة فوق المحراب الذي أنشئ أيضاً في الفترة العثمانية، في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤ هجرية/ ١٢٠٠-١٢١٨ ميلادية) في سنة ٩٤٥ هجرية، على يدي الأمير محمد بك والي غزة والقدس الشريف.

٤) القبة النحوية:

تقوم هذه القبة في الزاوية الجنوبية الغربية لصحن قبة الصخرة، وقد تم تعميرها في الفترة الأيوبية في عهد السلطان الملك المعظم عيسى في سنة ٦٠٤ هجرية/ ١٢٠٧ ميلادية،

خصيصاً لتكون مقراً لتعليم علوم اللغة العربية فقد عرف عن المعظم عيسى مدى ولعه وحبه باللغة العربية.

هذا وقد لعبت المدرسة النحوية (القبة النحوية)، دوراً هاماً وفعالاً في دفع الحركة العلمية في الأقصى الشريف، حيث اعتبرت معهداً متخصصاً لتدريس اللغة والنحو كما يدل عليها اسمها، منذ تأسيسها وحتى الفترة العثمانية، وقد أوقف عليها الملك المعظم وقوفات كثيرة لتفِ بسد حاجاتها والصرف عليها.

٥) قبة يوسف:

تقوم هذه القبة بين القبة النحوية ومنبر برهان الدين في الجهة الجنوبية لصحن قبة الصخرة. حيث تم إنشاؤها في الفترة العثمانية وذلك استناداً إلى الطابع المعماري التي تتمتع به القبة والنقش التذكاري الموجود في وجهتها والمؤرخ في سنة ١٠٩٢ هجرية/ ١٦٨١ ميلادية.

ومن الضروري هنا التأكيد على أنه لا يوجد أية صلة أو علاقة تربط هذه القبة بالنبي يوسف عليه السلام وإنما يوسف المنسوبة إليه القبة هو صلاح الدين الأيوبي (يوسف بن أيوب).

٦) قبة الشيخ الخليلي:

تقوم هذه القبة في الزاوية الشمالية الغربية لصحن قبة الصخرة، وهي معروفة أيضاً بقبة بخ بخ، حيث تم إنشاؤها في الفترة العثمانية في سنة ١١١٢ هجرية/ ١٧٠٠ ميلادية.

وقد استخدمت هذه القبة كدار للعبادة والتصوف، حيث اتخذها الشيخ الخليل كمقر له لقراءة الأوراد (الأدعية الصوفية) والاعتكاف بها.

هذا وتقوم أيضاً في صحن قبة الصخرة قبة الخضر، وقبة الأرواح، واللتان أنشئتا في الفترة العثمانية.

وأما القباب الواقعة في ساحة الأقصى الشريف فهي:

٧) قبة سليمان:

تقوم هذه القبة مقابل باب العتم في الجهة الشمالية لساحة الأقصى الشريف. وهي قبة مثمنة الأضلاع، محمولة على أربعة وعشرين عموداً رخامياً، وقد فتح في جهتها الشمالية باباً وأقيم في جدارها القبلي محراباً، وعلى ما يبدو أن هيئتها أو شكلها لم يطرأ عليه أي تغيير جوهري يذكر، حيث ورد عند العمري وصفاً لها مطابقاً إلى حد ما لوضعها الحالي.

٨) قبة أو إيوان العشاق:

تقوم هذه القبة مقابل باب العتم (إلى الجنوب الشرقي منه)، في الجهة الشمالية لساحة الأقصى الشريف، وقد تم إنشاء هذا الإيوان الذي عرف لاحقاً بالقبة، في الفترة العثمانية في عهد السلطان محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥ هجرية/ ١٨٠٨ -١٨٣٩ ميلادية) في سنة ١٢٣٣ هجرية وذلك وفق ما ورد في النقش التذكاري الموجود في واجهته الشمالية.
ويبدو أن هذا المكان كان ملتقى للصوفيين والزهاد والذين عرفوا بعشاق النبي ﷺ ، حتى أصبحت تعرف بقبة عشاق النبي.

٩) قبة موسى:

تقوم هذه القبة مقابل باب السلسلة في الجهة الغربية لساحة الأقصى الشريف. حيث تم تعميرها في الفترة الأيوبية في عهد السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧ هجرية/ ١٢٤٠-١٢٤٩ ميلادية) في سنة ٦٤٧ هجرية، والتي عرفت في عهده باسم قبة الشجرة، ذلك وفق ما جاء في النقش التذكاري الذي يقوم فوق مدخلها الرئيسي.
وتستخدم القبة اليوم كمقر لدار القرآن الكريم.

١٠) قبة يوسف آغا :

تقوم هذه القبة في الجهة الجنوبية الغربية لساحة الأقصى الشريف بين المتحف الإسلامي والمسجد الأقصى المبارك. حيث تم بنائها في الفترة العثمانية في عهد السلطان محمود الرابع (١٠٥٨-١٠٩٩ هجرية/ ١٦٤٨-١٦٨٧ ميلادية)، على يدي والي القدس يوسف آغا في سنة ١٠٩٢ هجرية، وذلك حسب ما ورد في النقشين الموجودين في واجهتها.
ويستخدم مبنى القبة اليوم كمكتب استعلامات وبيع للتذاكر.

١١) منبر برهان الدين:

يقوم هذا المنبر في الجهة الجنوبية لصحن الصخرة. حيث تم تعميره في الفترة المملوكية على يدي قاضي القضاة شيخ الإسلام برهان الدين بن جماعة الكناني قاضي مصر والشام وخطيب الخطباء وشيخ الشيوخ (٧٢٥-٧٩٠ هجرية/ ١٣٢٥-١٣٨٨ ميلادية) وذلك حسب ما ذكره مجير الدين الذي أشار أيضا إلى أنه أي المنبر كان قبل ذلك يحمل على عجل.

وقد استخدم هذا المنبر للخطابة والدعاء في الأعياد الإسلامية وكذلك في صلاة الاستسقاء.

ولم يعرف هذا المعلم بهذا الاسم في زمن العمري (٧٤٥ هجرية/ ١٣٤٥ ميلادية)، حيث ذكره باسم "قبة الميزان".

ويعتبر هذا المعلم قطعة معمارية وفنية في غاية الروعة والجمال، وذلك لما احتواه من عناصر معمارية وزخرفية صنعت جميعها من الرخام وخاصة اللوحات الرخامية المزينة بالزخارف الهندسية القائمة على جانبي السلم الحجري للمنبر، والتي شاعت في العمارة المملوكية.

مساطب الأقصى الشريف

المسطبة في الأقصى الشريف هي ذلك المكان المرتفع المربع أو المستطيل الشكل والمرتفع عن مستوى سطح الأرض (ساحة الأقصى)، والتي بنيت من الحجارة وبلط سطحها بالبلاط الحجري، وعمل فيها أحيانا محراب أو حائط في اتجاه القبلة. وقد أنشئت لغرضي الصلاة والتدريس معا، خاصة في فصل الصيف.

هذا ويقوم اليوم في ساحة الأقصى الشريف قرابة الثلاثين مسطبة، والتي انتشرت بصورة عشوائية في جهاته الأربعة.

وعلى ما يبدو أن فكرة إنشاء هذه المساطب، والتي تركزت في الجهة الغربية لساحة الأقصى الشريف، قد شاعت في الفترة العثمانية، ذلك أننا لا نكاد نجد سوى خمس منها كانت قد أنشئت في الفترة المملوكية أما بقيتها فقد تم إنشاؤها في الفترة العثمانية.

ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك، قامت بترميم عدة مساطب في الجهة الشرقية للأقصى الشريف وبخاصة في منطقة باب الرحمة، وذلك في الفترة الواقعة ما بين (١٩٦٩-١٩٧٩م).

وقد ارتأينا أن نورد قائمة بمساطب الأقصى الشريف وفق المسح الأثري الذي قام به قسم الآثار الإسلامية التابع لدائرة الأوقاف الإسلامية في القدس، والمثبتة في خريطة الأقصى الشريف الصادرة عن مجلة هدى الإسلام التابعة لدائرة الأوقاف الإسلامية بالقدس الشريف.

الفترة المملوكية:

١- مسطبة الظاهر: والتي أنشئت في سنة ٧٩٥ هجرية/ ١٣٩٢ ميلادية.
٢- مسطبة البصيري: والتي أنشئت في سنة ٨٠٠ هجرية/ ١٣٩٧ ميلادية.
٣- مسطبة سبيل قايتباي: والتي أنشئت في سنة ٨٦٠ هجرية/ ١٤٥٥ ميلادية.

الفترة العثمانية :

(المساطب المؤرخة):

١- مسطبة سبيل سليمان: والتي أنشئت في سنة ٩٤٣ هجرية/ ١٥٣٦ ميلادية.
٢- مسطبة علي باشا: والتي أنشئت في سنة ١٠٤٧ هجرية/ ١٦٣٧ ميلادية.
٣- مسطبة الطين: والتي أنشئت في سنة ١١٧٤ هجرية/ ١٧٦٠ ميلادية.

(المساطب غير المؤرخة):

١- مسطبة باب الحديد.
٢- مسطبة باب القطانين.
٣- مسطبة باب القطانين الشمالية.
٤- مسطبة سبيل الشيخ بدير.
٥- مسطبة سبيل قاسم باشا.
٦- مسطبة قبة موسى.
٧- مسطبة الفخرية.
٨- مسطبة باب المغاربة.
٩- مسطبة جامع المغاربة الشرقية.
١٠- مسطبة الصنوبر.
١١- مسطبة الزهور.
١٢- مسطبة المتوضأ.
١٣- مسطبة الجنائز.
١٤- مسطبة الكرك.
١٥- مسطبة كرسي سليمان.
١٦- مسطبة قبة سليمان.
١٧- مسطبة سبيل شعلان .

وأما المساطب التي رممت في الفترة الحديثة والواقعة في الجهة الشرقية للأقصى الشريف فهي: المصطبتان الشرقيتان ومصطبة القنطرة الشرقية ومصطبتي الباب الذهبي ومصطبة صبرا وشاتيلا.

أسبلة الأقصى الشريف

لما كانت الطهارة أمراً حيوياً وضرورياً في الإسلام، حيث ربطها سبحانه وتعالى بالعبادات ربطاً وثيقاً، فكان من أهم مظاهر الطهارة وجوب الوضوء قبل الصلاة.وعليه كان لا بد من توفير مصادر المياه في كل مسجد لتيسير الوضوء للمصلين.

ومن هذا المنطلق، فقد حرص المسلمون حرصاً شديداً على توفير مصادر المياه في الأقصى الشريف وذلك من خلال حفر الآبار وإنشاء الصهاريج والأسبلة في ساحة الأقصى لتخزين مياه الأمطار. فضلاً عن الاهتمام بإيصال المياه من مصادرها الطبيعية (مثل الينابيع المجاورة في المنطقة) عن طريق حفر القنوات وتمديدها لضمان تزويد خزانات المياه المذكورة أعلاه بالمياه العذبة.

وقد بلغ عدد الآبار الموجود في ساحة الأقصى الشريف والتي تعود في تاريخها للفترات الإسلامية المبكرة، خمس وعشرون بئراً عذبة، ثمان منها في صحن الصخرة وسبع عشرة في ساحة المسجد الأقصى.

وفي الفترة الأيوبية تم إنشاء عدد من السقايات والصهاريج، نذكر منها سقاية الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب، الواقعة بباب المطهرة والتي تم إنشاؤها سنة ٥٨٩ هجرية/ ١١٩٣ ميلادية. وصهريج الملك المعظم عيسى الواقع في الطرف الغربي اسفل صحن الصخرة والذي تم إنشاؤه سنة ٦٠٧ هجرية/ ١٢١٠ ميلادية.

وقد ظهرت كلمة "سبيل" بمعنى عين المياه وما لحقها من مصطلح معماري في الفترة المملوكية والتي تبلورت عن فكرة عمل الخير (في سبيل الله).

هذا وقد استمرت ظاهرة إنشاء الأسبلة في الفترة العثمانية والتي امتازت بطابع معماري خاص ومميز.

هذا ويقوم في ساحة الأقصى الشريف تسعة من الأسبلة التي تعود في تاريخ إنشائها للفترات الإسلامية الأيوبية والمملوكية والعثمانية. وقد تركزت في الجهتين الغربية والشمالية للأقصى الشريف، وهي مرتبة حسب فتراتها الإنشائية كالآتي:

١) الكاس:

يقوم الكاس (متوضأ الكاس) أمام المسجد الأقصى في الجهة الجنوبية منه.
وقد تم إنشاء هذا المتوضأ في عهد السلطان سيف الدين أبو بكر بن أيوب سنة ٥٨٩ هجرية/ ١١٩٣ ميلادية وهو الذي أنشأ مجمع السقاية أو المطهرة الواقعة بباب المطهرة التي ذكرناها سابقاً.

٢) سبيل شعلان :

يقوم هذا السبيل أسفل الدرج الشمالي الغربي المؤدي إلى صحن الصخرة، ويعتبر هذا السبيل من الصهاريج الأيوبية التي تم إنشاؤها في عهد الملك المعظم عيسى سنة ٦١٣ هجرية/ ١٢١٦ ميلادية، وفق ما جاء بالنقش التذكاري الموجود في واجهته.

الأسبلة المملوكية :

٣) سبيل البصيري (المعروف بسبيل باب الحبس):

يقوم هذا السبيل في الشمال الشرقي من باب الناظر بباب الحبس حيث اشتهر السبيل بهذا الاسم، كما عرف بسبيل علاء الدين البصيري وسبيل باب الناظر.

٤) سبيل قايتباي :

يعتبر سبيل قايتباي من أهم أسبلة الأقصى الشريف والقدس خاصة، وفلسطين وبلاد الشام عامة. ذلك أنه النموذج الوحيد والفريد من نوعه في المنطقة والتي عرفت بالأسبلة القايتبائية (المملوكية) في مصر.

يقوم هذا السبيل مقابل مكتبة الأقصى (المدرسة الأشرفية) في الجهة الغربية لساحة الأقصى الشريف حيث بني فوق ماء عامر حتى يومنا هذا.

الأسبلة العثمانية:

٥) سبيل قاسم باشا:

يقوم هذا السبيل إلى الجنوب من سبيل قايتباي بالقرب من باب السلسلة، وقد تم إنشاؤه في عهد السلطان سليمان القانوني بإشراف والي القدس قاسم باشا وذلك في سنة ٩٣٣ هجرية/ ١٥٢٧ ميلادية، وفق ما جاء بالنقش التذكاري الموجود في واجهته.

وإلى الشمال من هذا السبيل تقوم بركة مربعة الشكل يتوسطها نافورة ومحاطة بدرابزين حديدي، تسمى بركة النارنج، تعود في تاريخ تأسيسها إلى الفترة المملوكية، ولكن جرت عليها ترميمات عديدة في الفترة العثمانية، وكذلك على يدي المجلس الإسلامي الأعلى في سنة ١٩٢٢ م.

٦) سبيل السلطان سليمان:

من المعلوم أن السلطان سليمان القانوني قد قام بحملة معمارية كبيرة في القدس اشتملت على سور القدس الحالي وكذلك بناء الأسبلة والتي بلغ عددها ستة، وعرفت بالأسبلة السليمانية لما امتازت به من طراز معماري خاص جاءت على شكل واجهات معمارية

مستقلة، احتوت على العناصر المعمارية والفنية المختلفة التي هي امتداد للعمارة المملوكية في القدس وبخاصة فترة السلطان قايتباي.
ويقوم هذا السبيل في الجهة الشمالية من ساحة الأقصى الشريف بالقرب من باب العتم والذي عرف أيضاً بسبيل باب العتم نسبة له. حيث تم إنشاؤه في سنة ٩٤٣ هجرية.

٧) سبيل البديري:

يقوم هذا السبيل إلى الشرق من باب الناظر في الجهة الغربية لساحة الأقصى الشريف. وقد تم إنشاؤه في عهد السلطان محمود الأول في سنة ١١٥٣ هجرية/ ١٧٤٠ ميلادية، بإشراف مصطفى آغا قائمقام القدس في ذلك الوقت بأمر من الوالي عثمان بيك الفقاري.

٨) سبيل باب حطة:

يقوم هذا السبيل على يسار الداخل من باب حطة إلى الأقصى الشريف، وهو بسيط التكوين، ويعود في إنشائه إلى الفترة العثمانية.

٩) سبيل باب المغاربة:

من الأسبلة غير المعروفة الاسم، هذا السبيل الذي يقوم مقابل باب المغاربة والذي يعود في تاريخ إنشائه للفترة العثمانية .

المتحف الإسلامي

قام بتأسيسه المجلس الإسلامي الأعلى في سنة ١٩٢٣ م، حيث كان مقره في بادئ الأمر في مبنى الرباط المنصوري. وفي سنة ١٩٢٩ م تم نقله إلى مقره الحالي بجامع المغاربة الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية لباحة الأقصى الشريف.

ويحتوي المتحف على الكثير من نوادر التحف الإسلامية المختلفة، والتي تعكس معظم الفنون التطبيقية التي سادت عبر التاريخ الإسلامي.

فهناك مخطوطات المصاحف النادرة، والتي يقدر عددها بحوالي (٦٥٠) مصحفاً مخطوطاً، فضلاً عن الوثائق المملوكية التي زاد عددها عن (٩٠٠) وثيقة، والتي تعتبر من أهم الوثائق التاريخية في التاريخ الإسلامي.

وهناك أيضاً العديد من مجموعات الفنون التطبيقية الأخرى، والتي اشتملت على مجموعات من روائع القطع الفنية الإسلامية، مثل: الخزف والفخار والزجاج والنقوش الحجرية، إضافة إلى مجموعات من العملة (النقود) الإسلامية المهمة وغيرها.

مكتبة الأقصى

وقد كتب عنها المؤرخ المقدسي العسلي في كتابه "معاهد العلم في بيت المقدس"، ص ٣٧٥، ما نصه: ((افتتحت هذه المكتبة في سنة ١٩٢٢م في القبة النحوية، ونقلت فيما بعد إلى المدرسة الأسعردية شمالي الأقصى الشريف، ونقلت بعد ذلك إلى المتحف الإسلامي، ثم نقلت في الفترة الأخيرة إلى المدرسة الأشرفية مقرها الحالي.

ويبلغ عدد مجلدات مكتبة المسجد الأقصى حالياً حوالي أربعة عشر ألف مجلد، وقد نقلت إليها من المتحف مكتبة الشيخ خليل الخالدي ومكتبة الشيخ محمد الخليلي. بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب التركية وكذلك عدد من الجرائد والمجلات)).

العباسيون:

ظل المسجد قائماً بتخطيطه الأصلي الأموي حتى سنة ١٣٠هجرية/ ٧٤٦ ميلادية، حيث تهدم جانبيه الغربي والشرقي جراء الهزة الأرضية التي حدثت في تلك السنة.
وفي الفترة العباسية تم ترميم المسجد الأقصى لأول مرة في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨ هجرية/ ٧٥٤-٧٧٥ميلادية)، ولكنه ما لبث وأن تعرض لهزة أرضية عنيفة ثانية وذلك في سنة ١٥٨ هجرية/ ٧٧٤ ميلادية، مما أدى إلى تدمير معظم البناء، الأمر الذي جعل الخليفة العباسي المهدي (١٥٨-١٦٩ هجرية/ ٧٧٥-٧٨٥ ميلادية)، أن يقوم بترميمه وإعادة بنائه من جديد في سنة ١٦٣هجرية/ ٧٨٠ ميلادية.
وقد كان المسجد الأقصى في عهده يتألف من خمسة عشر رواقاً، وذلك حسب ما جاء في وصفه عند المقدسي.

العبيديون: (من يطلق عليهم خطأ الفاطميون)

وفي هذه الفترة، تعرض المسجد الأقصى لهزة أرضية أخرى حدثت سنة ٤٢٥هجرية/ ١٠٣٣ ميلادية، أدت إلى تدمير معظم ما عُمر في عهد المهدي، حتى قام الحاكم العبيدي الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧ هجرية/ ١٠٢١-١٠٣٦ ميلادية) بترميمه في سنة ٤٢٦ هجرية/ ١٠٣٥ ميلادية، حيث قام باختصاره على شكله الحالي وذلك عن طريق حذف أربعة أروقة من كل جهة، الغربية والشرقية، كما قام بترميم القبة وزخارفها من الداخل.

الاحتلال الصليبي:

ولما احتل الصليبيون بيت المقدس سنة ٤٩٢ هجرية/ ١٠٩٩ ميلادية، قاموا بتغيير معالم المسجد الأقصى والذي استخدموه لأغراضهم الخاصة، منتهكين في ذلك حرمته الدينية، فقاموا بتحويل قسم منه إلى كنيسة والقسم الآخر مساكن لفرسان الهيكل، كما أضافوا إليه من الناحية الغربية بناء استخدموه مستودعا لذخائرهم.

وقد زاد استهتارهم وانتهاكهم لقدسية المسجد الأقصى عندما استخدموا الأروقة الواقعة أسفل المسجد الأقصى كإسطبلات لخيولهم، والتي عرفت منذ تلك اللحظة بإسطبل أو إسطبلات سليمان.

وقد ظل المسجد الأقصى منتهكا بهذا الشكل طوال فترة الغزو الصليبي لبيت المقدس، وحتى الفتح الصلاحي سنة ٥٨٣ هجرية/ ١١٨٧ ميلادية .

الأيوبيون:

وفي سنة ٥٨٣ هجرية/ ١١٨٧ ميلادية، فتح الله على القائد صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩ هجرية/ ١١٩-١١٩٣ميلادية) باسترداد بيت المقدس وتطهير المسجد الأقصى من دنس الصليبيين، حيث قام صلاح الدين بإعادة المسجد الأقصى على ما كان عليه قبل الغزو الصليبي له، والشروع بترميمه وإصلاحه.

ومن أهم الترميمات التي أنجزت على يدي صلاح الدين، تجديد وتزيين محراب المسجد، حيث يشير إلى ذلك النقش التذكاري الذي يعلوه والمزخرف بالفسيفساء المذهبة حيث جاء فيه ما نصه: ((بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو / على التقوى عبدالله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك

الناصر صلاح الدنيا والدين/ عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة/ وهو يسأل الله إذاعة شكر هذه النعمة وإجزال حظه من المغفرة والرحمة)).
كما أمر السلطان صلاح الدين بإحضار المنبر الخشبي الذي صنع خصيصاً في عهد السلطان نور الدين محمود بن زنكي (٥٤١-٥٦٩ هجرية/ ١١٤٦-١١٧٤ ميلادية)، ليكون بمثابة تذكار لفتح وتحرير المسجد الأقصى، حيث أحضره من حلب ووضعه في المسجد الأقصى.
وظل هذا المنبر قائماً فيه حتى تاريخ ١٩٦٩/٨/٢١م، عندما تم إحراق المسجد الأقصى المبارك على يدي مايكل روهان، وقد أتى الحريق على المنبر حتى لم يتبق منه إلا قطع صغيرة محفوظة الآن في المتحف الإسلامي في الأقصى الشريف.
ويعتبر المنبر من روائع القطع الفنية الإسلامية، وذلك لما امتاز به من دقة ومتانة في الصنع، وكذلك لما اكتنفه من زخارف إسلامية بديعة.
وقد تابع الأيوبيون بعد صلاح الدين، اهتمامهم في الحفاظ على المسجد الأقصى، حيث قام السلطان الملك المعظم عيسى (٦١٤-٦٢٤هجرية/ ١٢١٨-١٢٢٧ ميلادية)، في سنة ٦١٤ هجرية/ ١٢١٨ ميلادية، بإضافة الرواق الذي يتقدم الواجهة الشمالية للمسجد الأقصى، والذي يعتبر اليوم الواجهة الشمالية نفسها للمسجد الأقصى.

المماليك:

لقد ساهم المماليك في المحافظة على المسجد الأقصى بشكل منقطع النظير، وذلك من خلال ترميماتهم الكثيرة والمتتابعة فيه. حيث تركزت وتمت في الفترة المملوكية الواقعة ما بين (٦٨٦-٩١٥ هجرية/ ١٢٨٧-١٥٠٩)، على يدي سلاطين المماليك نذكر أهمها:

١) **السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون** (٦٧٨-٦٨٩ هجرية/ ١٢٨٠-١٢٩٠ميلادية) : حيث قام بترميمات عديدة أهمها في سنة ٦٨٦ هجرية/ ١٢٨٦ ميلادية، والتي قام فيها بعمارة القسم الجنوبي الغربي من سقف المسجد الأقصى المبارك.

٢) **السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون/** خلال سلطنته الثالثة (٧٠٩-٧٤١ هجرية/ ١٣٠٩-١٣٤٠ ميلادية): حيث قام في سنة ٧٢٨ هجرية/ ١٣٢٧ ميلادية، بصيانة وترميم قبتي المسجد الداخلية والخارجية.

٣) **السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان** (٧٤٦-٧٤٧ هجرية/ ١٣٤٥-١٣٤٦ ميلادية) : حيث قام في سنة ٧٤٦ هجرية/ ١٣٤٥ ميلادية، بتجديد المسجد من الداخل وأبوابه، والذي أشير إليه في نقشه التذكاري الموجود في الواجهة الشمالية للمسجد.

٤) **السلطان الملك الناصر ناصر الدين حسن** خلال سلطنته الأولى (٧٤٨-٧٥٢ هجرية/ ١٣٤٧-١٣٥١ ميلادية): حيث قام في سنة ٧٥١ هجرية/ ١٣٥٠ ميلادية، بتجديد جناح للمسجد كان يقوم في الجهة الشرقية الشمالية منه، وذلك وفقاً لما جاء بالنقش التذكاري الموجود في الرواق الشمالي للمسجد.

٥) **السلطان الملك الأشرف سيف الدين إينال** (٨٥٧-٨٦٥ هجرية/ ١٤٥٣-١٤٦١ ميلادية) : حيث قام في سنة ٨٦٥ هجرية/ ١٤٦٠ ميلادية، بتعميرات مختلفة في المسجد الأقصى، كما قام بوضع المصحف الشريف بالمسجد الأقصى ورتب له قارئاً ووقف عليه جهة.

٦) **السلطان الملك الأشرف سيف الدين قايتباي (٨٧٢-٩٠١ هجرية/ ١٤٦٨-١٤٩٦ ميلادية)** : حيث قام في سنة ٨٧٩ هجرية/ ١٤٧٤ ميلادية، بتعميرات مختلفة في المسجد الأقصى، منها تجديد رصاص أسطحه وقبة المسجد الأقصى.

٧) **السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢ هجرية/ ١٥٠١-١٥١٦ ميلادية)** : حيث قام في ٩١٥ هجرية/ ١٥٠٩ ميلادية، بأعمال تجديدات في المسجد اشتملت على إصلاح رصاص السطح وبياض الجدران ودهان الأبواب وترميمها وغير ذلك.

العثمانيون:

نستطيع القول أن تاريخ بناء قبة الصخرة قد دخل مرحلة جديدة وطويلة في الفترة العثمانية التي استمرت أربعة قرون، حيث لم تنقص أهمية المحافظة والصيانة لقبة الصخرة، بل قل إنها زادت وتضاعفت.

فكان أول سلاطين العثمانيين الذين اهتموا بقبة الصخرة ورعايتها، هو **السلطان سليمان القانوني** (٩٢٦-٩٧٤هجرية/ ١٥٢٠-١٥٦٦ميلادية)، الذي استطاع أن يصبغ قبة الصخرة بالفن العثماني من خلال مشروعه الكبير المشار إليه في نقشه التذكاري الموجود فوق الباب الشمالي لقبة الصخرة والذي اشتمل على استبدال الزخارف الفسيفسائية التي كانت تغطي واجهات التثمينة الخارجية والتي ظلت قائمة منذ الفترة الأموية، فترة تأسيس وبناء قبة الصخرة وحتى الفترة العثمانية، وقد استبدلت بالبلاط القاشاني المزجج والملون في سنة ٩٥٩هجرية/ ١٥٥٢ميلادية، مما أكسب قبة الصخرة روعة وجمالا فائقين من الخارج كما هي من الداخل.

كما قام بتجديد النوافذ الجصية الواقعة في رقبة القبة وذلك في سنة ٩٤٥هجرية/ ١٥٣٨ميلادية .

ولقد حرص سلاطين العثمانيين بشدة خلال فترات توليهم الطويلة على استمرارية الحفاظ على مسجد قبة الصخرة، حتى أنهم قاموا بتشكيل لجنة لتختص بشؤون إعمار قبة الصخرة والمسجد الأقصى، تألفت من شيخ الحرم وأمين البناء وأمين الدفتر.

ومن مشاريع الترميمات العثمانية المهمة تلك التي أنجزت في عهدي **السلطان عبد المجيد الأول** (١٢٥٥-١٢٧٧ هجرية/ ١٨٣٩-١٨٦١ميلادية)، **والسلطان عبدالعزيز** (١٢٧٧-١٢٩٣هجرية/ ١٨٦١-١٨٧٦ميلادية)، حيث تم إنجاز أعمال ترميمات ضخمة استمرت مدة من الزمن، كلفت خزينة الدولة أموالاً طائلة، حيث استدعي خبراء ومهندسون من خارج البلاد لتقوية وصيانة المبنى الأساسي للقبة وزخارفها من الداخل والخارج.

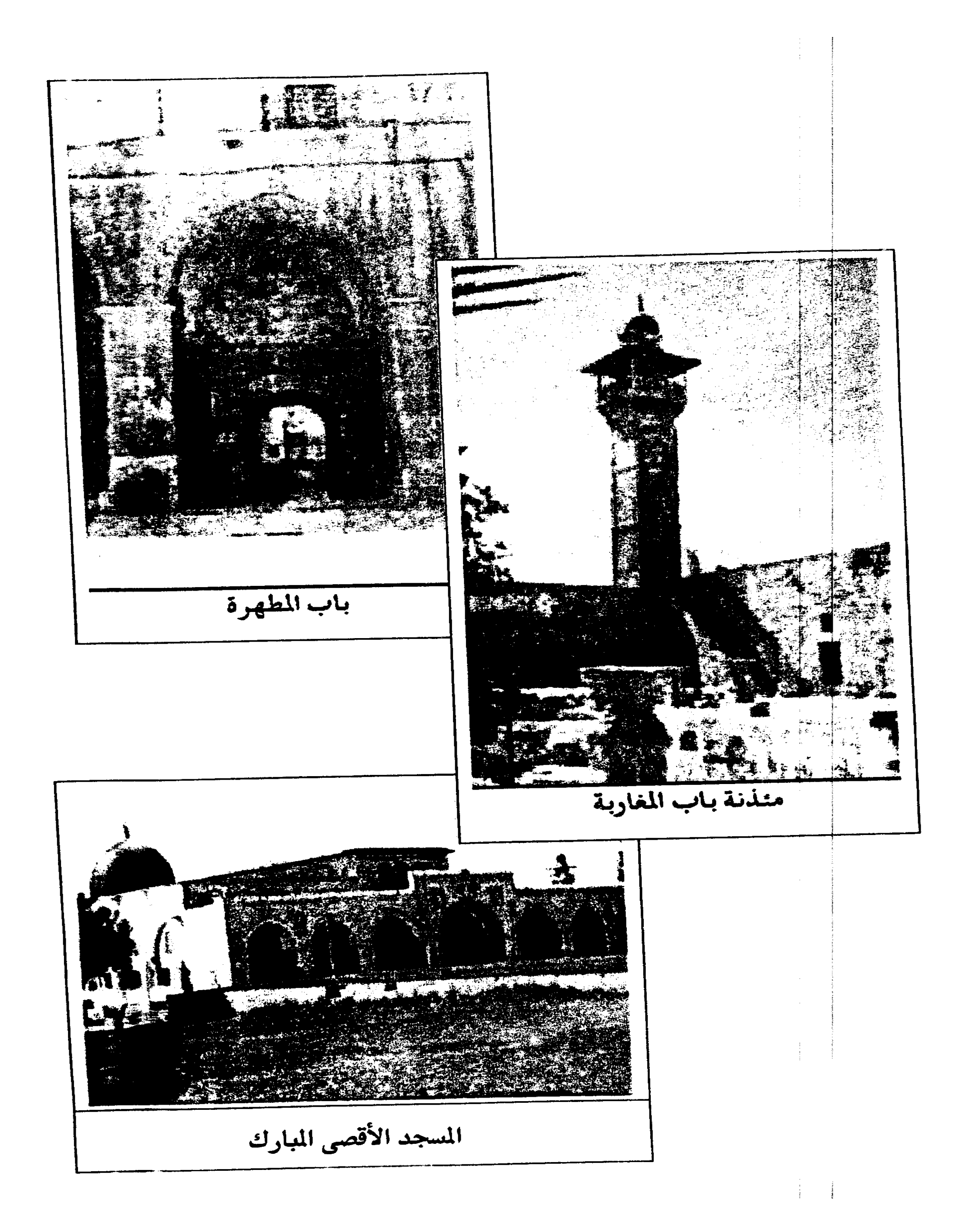
وفي عهد **السلطان عبد الحميد الثاني** (١٢٩٣-١٣٢٧ هجرية/ ١٨٧٦-١٩٠٩ميلادية)، تم كتابة سورة (يس) الموجودة حالياً في أعلى واجهات التثمينة الخارجية، وقد كتبت بالخط الثلث على القاشاني، كما أمر السلطان عبد الحميد بفرش مسجد قبة الصخرة بالسجاد الثمين.

ومن الجدير بالإشارة إلى القبة الصغيرة التي تقوم إلى الغرب من مدخل المغارة والتي على ما يظهر أنها أضيفت في الفترة العثمانية والتي عرفت بحجرة شعرات النبي ﷺ ، وقد قال المؤرخ المقدسي الجليل عارف العارف بخصوصها ما نصه (.. وقد عهد إلى آل الشهابي من الأسر القديمة في بيت المقدس بمهمة الاحتفاظ بهاتين الشعرتين من شعر النبي ﷺ ويحتفل القوم بها مرة في كل سنة، .. في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان..))

المجلس الإسلامي الأعلى:

يقول المؤرخ المقدسي عارف العارف عن هذه الفترة: ((إن التعميرات ابتدأت سنة ١٩٣٨ م وانتهت ١٩٤٣ م. وتلخصت أعمال الترميم بهدم الرواق الشرقي وإعادة بنائه من جديد .. وإنك لترى عندما تدنو من المسجد بين مدخله الرئيسي والباب الكائن غربيه بلاطة من المرمر نقشت عليها السطور التالية بماء الذهب: ((جدد المجلس الإسلامي الأعلى القسم الشرقي والرواق الأوسط وواجهة الرواق الشمالي للمسجد الأقصى المبارك بإشراف الآثار العربية بمصر. وكان بدء العمل في سنة ١٣٥٧ هجرية والفراغ منه ١٣٢٦ هجرية. وقامت الحكومة المصرية بتجديد السقف الخشبي للرواق الأوسط في عهد جلالة الملك الصالح فاروق الأول حفظه الله وأيد ملكه في سنة ١٣٦٣ للهجرة ١٩٤٣ م)) .

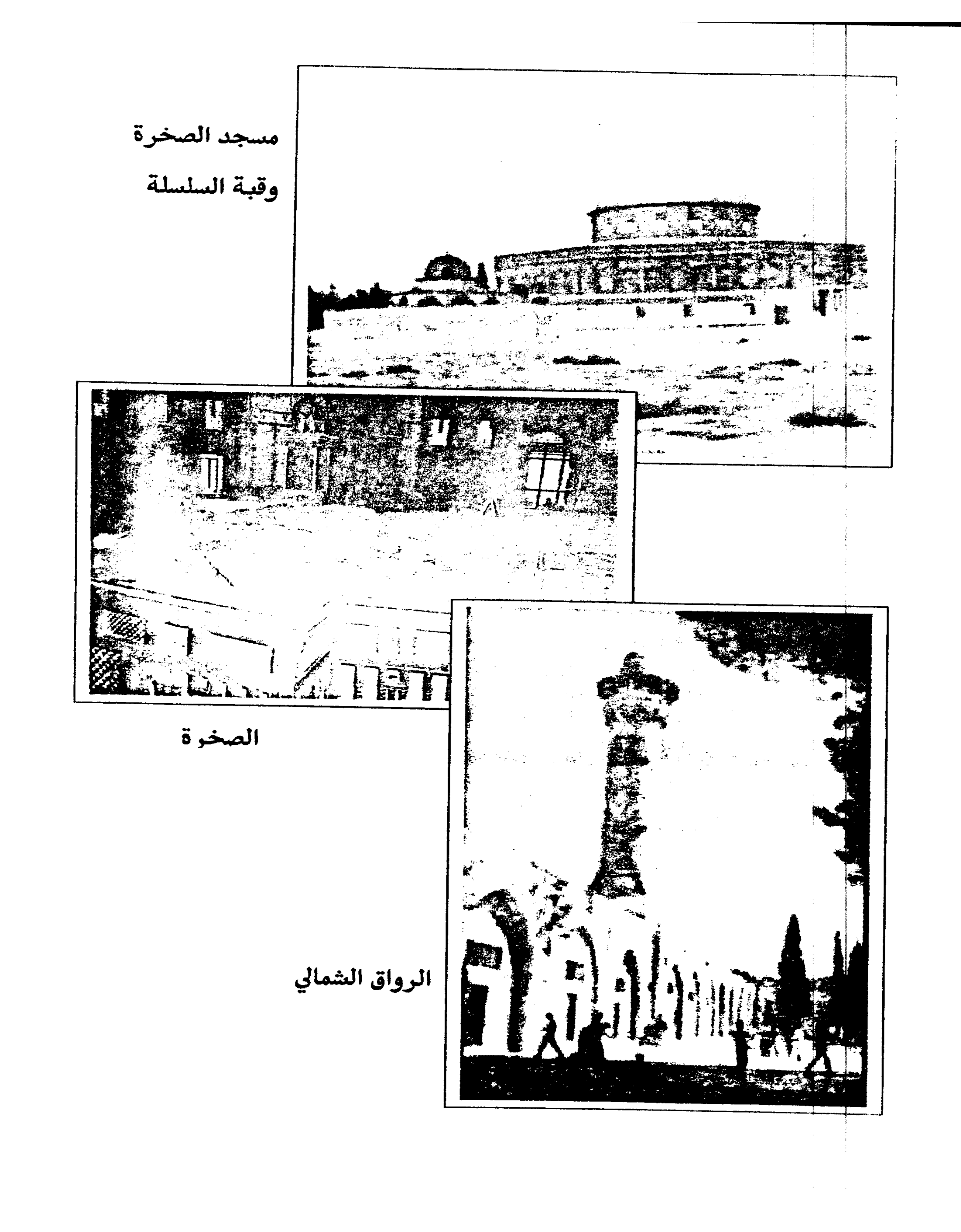
وقد استمرت أعمال الترميم في المسجد الأقصى في العهد الأردني وذلك من خلال لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة التي ما زالت تقوم بمسؤولياتها حتى هذا اليوم.



باب المطهرة

مئذنة باب المغاربة

المسجد الأقصى المبارك



مسجد الصخرة

وقبة السلسلة

الصخرة

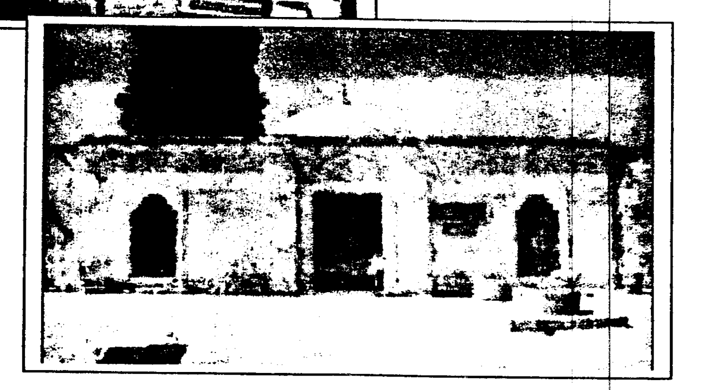
الرواق الشمالي





المدرسة الأسعردية

سبيل قاسم باشا



المتحف الإسلامي



الباب الثالث



[لا قيمة لإسرائيل بدون القدس .. ولا قيمة للقدس بدون الهيكل]

(ديفيد بن جوريون مؤسس الدولة الصهيونية)

المسجد الأقصى تحـــت الإحتـــلال

مزاعم اليهود حول المسجد الأقصى

نظرة اليهود للمسجد الأقصى:

"عليهم أن يعرفوا أنه لن يكون بإمكانهم البقاء في هذا المكان إلى الأبد، هذا هو قدس الأقداس بالنسبة لنا، إن أحدا لا يمكنه أن يصنع سلاماً مع الدولة التي تمثل الشعب اليهودي وفي نفس الوقت يصر على البقاء في المكان الطبيعي .. الهيكل» هذا ما قاله الحاخام ابراهام شابيرا الذي كان قبل أعوام الحاخام الاشكنازي الأكبر للكيان الصهيوني ويعد حاليا أكبر مصدر للإفتاء بالنسبة للتيار الديني الصهيوني الذي ينتمي إليه المستوطنون اليهود. وفي حضور عدد من وزراء حكومة باراك صرخ شابيرا بصوت مرتفع أثناء الاحتفال بوضع حجر الأساس لمدرسة دينية في شرقي القدس وقال «لا يوجد شئ اسمه المسجد الأقصى، إن هذه كذبة افتراها علينا العرب وصدقوا أنفسهم وللأسف إن بعضنا قد آمن لهم»، وقال شابيرا «لا مجال للتضليل هنا، فجبل اليهكل (المسجد الأقصى) يتبع اليهود والشعب اليهودي في كل أماكن تشتته، ولا يليق بالدولة التي تمثل الشعب اليهودي أن تبدي أي تنازل عن هذا المكان»، وعبر شابيرا عن هدف اليهود ومرجعياتهم الدينية بالنسبة للمسجد الأقصى قائلا «أي اتفاق تسوية مهما كان يجب أن يضمن لنا كأصحاب الأرض الشرعيين أن نقيم طقوسنا الدينية في المسجد الاقصى، ليس هذا فحسب، بل إننا سنصر على إقامة مرافق دينية لليهود داخل أسوار المسجد الأقصى»، ووسط تصفيق معظم الحضور واصل شابيرا خطابه الحماسي «يخافون من ردة فعل العرب والمسلمين في حال تم تمكين اليهود من أداء طقوسهم الدينية في باحة المسجد الأقصى ونحن نقول لهم إن العرب والمسلمين بإمكانهم أن يذهبوا للجحيم، إذا لم يرق لهم أن نقيم طقوسنا الدينية فإن بإمكانهم أن يذهبوا للعربية السعودية فهناك لهم ما يريدون من مواقع دينية».

الحاخام اسحاق ليفي عاد وأكد أكثر من مرة أن دولة "إسرائيل" لا يمكنها أن تفرط بالمسجد الأقصى تماما وهي جادة تماما في عمل كل ما يلزم من أجل تهيئة الظروف لتمكين اليهود من السيطرة على المسجد الأقصى، ويقول : الجمهور الديني في "إسرائيل" لا يمكنه أن يتحمل رؤية تسوية لا تمكن اليهود من إقامة شعائرهم الدينية في المسجد الأقصى.

هذه هي نظرة اليهود للمسجد الأقصى. وهذه هي فكرتهم عن قدس المسلمين. الفكرة التي لا تقبل المناقشة أو التفاوض أو الحلول الوسط التي يتمنى العرب الوصول إليها !! وهذه الأفكار والأطماع قديمة قدم الحركة الصهيونية، فقد صرح عراب الحركة الصهيونية ثيودرو هرتزل في مدينة بال بسويسرا قائلاً ((إذا حصلنا لحظة يوماً على مدينة القدس وكنت لا أزل حياً وقادراً على القيام بأي شيء فلن أتوانى لحظة عن إزالة كل شيء ليس مقدساً لدى اليهود وسوف أدمر كل الآثار التي مرت عليها قرون))[1]، وقد أكد المؤرخ اليهودي الدكتور إسرائيل ألداد عزم الصهاينة على تدمير الحرم القدسي لإنشاء هيكلهم بتصريحه لمجلة (تايم) الأمريكية بقوله ((إن على إسرائيل أن تبني الهيكل في موقعه الأصلي)) وعندما سئل كيف يمكن أن يحصل هذا؟ أجاب: من يعلم، من الممكن أن تحدث هزة أرضية أو أشياء أخرى يمكنها أن تغير كل شيء[2].

---

[1] جامعة الدول العربية : الإدارة العامة لشوون فلسطين، الذكرى التاسعة عشرة لإحراق المسجد الأقصى المبارك، ١٩٨٨، ص٦.

[2] محمد علي أبو حمدة، مباحث في الهجمة اليهودية على الطابع الإسلامي لمدينة بيت المقدس (عمان، مكتبة الرسالة الحديثة) ١٩٨٢، ص ١٠٤-١٠٥.

الأساس الديني لنظرة اليهود للمسجد الأقصى:

بعد أن استعرضنا تاريخ الأرض المقدسة ومسجدها الأقصى قبل مجيء الإسلام وبعد مجيئه، وبعد الإشارة إلى عظم منزلة بيت المقدس والمسجد الأقصى في الإسلام، نعرض الآن منزلة الأرض المقدسة والهيكل في الوجدان الديني والتراث الفكري اليهودي. ذلك لكي يتبين لنا مدى ما لهذه البقاع من مكانة عندهم تدفعهم بقوة وتؤزهم بشدة إلى ركوب الصعب والذلول لاستعادة السيطرة التامة الشاملة عليها بشكل نهائي، تمهيدا لاستقبال أحداث آخر الزمان التي يرى اليهود أنهم المحور الذي تدور عليه.

ومن الأمور الهامة جدا هنا أن ننبه إلى أن هذا التقديس المشترك هو الذي يمثل البعد الحقيقي لقضية فلسطين والقدس والأقصى. فأهل الكتاب كفار ومشركون، وهذا الكفر والشرك هو الذي يجعل من المستحيل أن يرضى لهم الإسلام بحيازة الأرض المقدسة المختارة من الله لكي يتعبدوا فيها على غير دين التوحيد. وهذا التوحيد أيضا لو ادعاه اليهود لما قبل منهم، لأن التوحيد لا يصح إلا ممن آمن بخاتم الرسل وسيدهم محمد ﷺ. أما اليهود والنصارى فإنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، ومع هذا الكفر والعناد يصرون على حيازة تلك الأرض، وإقامة شعائر وشرائع الشرك فيها، بعد أن يقضوا على رمز التوحيد فيها (مسجد الإسراء).

إن في تراث اليهود القديم حديثا طويلا، وسيرا مسهبة عن هذه الأرض وذلك الهيكل (التصقت هذه التسمية بكل مكان كبير يتخذ للعبادة). فلما بنى سليمان المسجد الأقصى على هيئته العظيمة التي بناها عليه، نسب ذلك المسجد إليه، وأطلق عليه أهل الكتاب (هيكل سليمان). ويذكر التاريخ أن سليمان عليه السلام استغرق في بنائه ثلاثة عشر عاما، ليستكمل به معالم المدينة المقدسة (القدس). وهي أيضا كانت موجودة قبل سليمان، وكان المسجد الأقصى قائما، إلا أن المدينة والمسجد شهدا عصرهما الزاهر في زمانه عليه السلام.

ولا شك أن الأرض المقدسة كانت مهادا وطيئا سكنت فوقه واستراحت في كنفه كل دعوات أنبياء بني إسرائيل – عليهم صلوات الله وسلامه – إلا أن يد التحريف التي نالت كتب هؤلاء الأنبياء زادت بعد ذلك في المبالغة عنهما، حتى أصبح كتاب التوراة مثلا – وخصوصا الأسفار الخمسة الأولى منه – عبارة عن حديث متنوع متلون عن الأرض والمعبد في مجال الشرائع والشعائر والأحكام والطقوس .... إلى آخره.

وإن ولع اليهود في هذا العصر الحديث عن الأرض والهيكل لا يقل إلحاحا وترددا عن حديثهم القديم.

لقد ردد أساطينهم المعاصرون مقولة تلخص موقفهم تجاه هذا الأمر..[لا قيمة لإسرائيل بدون القدس ولا قيمة للقدس بدون الهيكل] قالها بن جوريون، ورددها بعده بمناسبة وبدون مناسبة مناحم بيجن، وأثبت زعماء اليهود بعدهم – بشكل عملي – أن هذه العبارة هي محور التحرك السياسي والعسكري طوال سني الصراع في السلم والحرب.

إن الهيكل بلغ عند اليهود المعاصرين منزلة جعلتهم يتخذون منه رمزا منقوشا على العلم الإسرائيلي، إنه (نجمة داود) السداسية. هذه النجمة التي نجدها تتوسط ذلك العلم فلا يرفرف إلا بها. ونجدها مطبوعة على هام الجند اليهود في الخوذات والكابات، ويحملونها على أكتافهم، وتتصدر دباباتهم وتطير مع طائراتهم وتنطلق مع صواريخهم. لم يخجل اليهود من اتخاذ هذا الرمز الديني شعارا لدولتهم "المتقدمة"[1] ليذكرهم أيضا باسم أول من بنى دولة باسم إسرائيل وهو داود عليه السلام . كما لم يخجلوا من قبل أن يسموا هذه الدولة على اسم نبي هو (إسرائيل) الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام . ولا يرى

[1] هناك معان أخرى يقال أن اليهود رمزوا إليها بنجمة داود، منها: أن النجمة تشير إلى ترس داود الذي كان يقاتل به، ومنها أنها ترمز إلى بزوغ نجم ابن داود، وهو مسيح اليهود المنتظر من نسل داود، ولهذا يطلقون عليها أحيانا نجمة ابن داود. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، لعبد الوهاب المسيري (٣/٢٢٤).

زعماؤهم غضاضة في الجهر بترديد آيات من التوراة في كل المحافل تنص على أن أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات، بل جعلوا هذه العبارة شعارا مكتوبا بشكل دائم في أبرز مكان في الكنيست الإسرائيلي.

ولنتأمل الآن – بإيجاز شديد – حجم وقيمة المشاعر الدينية عند أهل الكتاب عن الأرض المقدسة والهيكل، قديما وحديثا...

أولا: التوراة:

التوراة هي في الأصل – قبل التحريف – كتاب منزل من عند الله تعالى على نبيه موسى عليه السلام ثم ضمت إليها آثار الأنبياء الذين جاءوا من بعده لبني إسرائيل، فهي مجموعة من الأسفار جمعها رجال المجمع الأكبر بعد الرجوع من سبي بابل.

والحديث عن الأرض والمعبد في التوراة يكاد يصبغهما بطابعهما، فمن أول سفر فيها وهو سفر التكوين يبدأ الحديث عن الوعد الإلهي بمنح الأرض المقدسة لإبراهيم عليه السلام وذريته.

ويتجاهل اليهود أن هناك أمة أخرى غيرهم من ذرية إبراهيم هي أمة بني إسماعيل.

ويتناسون أن ذرية إسماعيل عليه السلام حسبما هو مسطور عندهم – موعودة بالتمكين والكثرة: **[لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك]**(١)

[وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا، اثنى عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة](٢)*.

*(١ ، ٢) سفر التكوين – الإصحاح ١٧ ، ٢١.

وتتحدث التوراة عن المرحلة المبكرة جدا لاتخاذ إبراهيم عليه السلام معبدا في أرض الشام:

[واجتاز إبرام[1] في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لإبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحا للرب ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته][2]

وتتحدث التوراة عن اتخاذ يعقوب معبدا في تلك الأرض:

[فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران، وصادف مكانا وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت، وأخذ من حجارة المكان، ووضعه تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان، ورأى حلما، وإذ سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها..]، [ثم قال الله ليعقوب: قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك، واصنع هناك مذبحا للرب الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك][3].

وتذكر أن رفات يوسف نقل إلى الأرض المقدسة: **[وعظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر دفنوها في شكيم في قطعة الأرض التي اشتراها يعقوب]**[4].

ثم تحكي التوراة أن الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون مصر كان يدور حول مطلب موسى في الخروج ببني إسرائيل من مصر لكي يعبدوا الله في الأرض الموعودة: **[وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون هكذا يقول الرب إله إسرائيل: أطلق شعبي ليعيدوا لي في البرية. فقال فرعون: من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل؟ لا أعرف الرب، وإسرائيل لا أطلقه]**[5]

---

[1] إبرام هو إبراهيم عليه السلام — والمذبح اسم يطلق على المعبد.

[2] التكوين ١٢

[3] التكوين ٣٥

[4] يشوع ٢٤

[5] الخروج ٥

وبعد الخروج كان على بني إسرائيل أن يشدوا السير ويستعدوا للجهاد لدخول الأرض المقدسة، وتنزل الشرائع المفصلة لما ينبغي أن تكون عليه الطقوس الدينية المفترضة أن تكون في الهيكل، ويؤمر موسى عليه السلام باتخاذ التابوت وبناء خيمة الاجتماع التي كانت محل العبادة في أرض التيه في سيناء[1].

وتذكر التوراة بتفصيل موسع جدا صفة التابوت وخيمة الاجتماع، فعندها كانت تتنزل التوراة، وتفصل أيضا في الترتيبات الشعائرية والتعبدية من ذبائح وملابس ومآكل ومشارب[2].

ثم يؤمر موسى عليه السلام بالانتقال ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة: **[وقال الرب لموسى: اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق قائلا لنسلك أعطيها، وأنا أرسل أمامك ملاكا، وأطرد الكنعانيين والأموريين والحيثيين والفريزيين والحوريين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبنا وعسلا]**[3].

وتبين التوراة أن موسى عليه السلام وهارون أخوه ماتا قريبا من الأرض المقدسة ولم يدخلاها .. ولحبهما لتلك الأرض طلبا الموت قريبا منها: **[وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلا: اصعد إلى جبل عباريم، هذا جبل نبو الذي في أرض مؤآب الذي قبالة أريحا، وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكا، ومت في الجبل الذي تصعد إليه، وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وضم إلى قومه]**[4].

وبعد انتهاء عهد موسى عليه السلام تذكر التوراة أن (يشوع) أو (يوشع بن نون) خادم موسى عليه السلام كان أول تكليف له أن يخف لاقتحام أسوار الأرض المقدسة بالجيل التالي لجيل التيه:

---

(1) تفاصيل ذلك في سفر الخروج – الإصحاح ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧.

(2) تفاصيل ذلك في سفر الخروج – الإصحاح ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١.

(3) الخروج ٣٣

(4) سفر التثنية الإصحاح ٣٢

[وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا: موسى عبدي قد مات، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم .. كل موضع تدوسه بطون أقدامكم، لكم أعطيته – كما كلمت موسى من البرية – ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات ..][1]

وهكذا يستمر دوران الحديث المكثف عن الأرض والمعبد والمقدسات خلال صفحات التوراة في كل عهود الأنبياء التالين لعهد يوشع بن نون. وذلك في أسفار: القضاة الإحدى والعشرين، ثم أسفار راعوث الأربعة، وأسفار صموئيل الإحدى والثلاثين، وأسفار صموئيل الثاني الأربعة والثلاثين.

ثم تبدأ بعدها مرحلة الحديث عن الأرض والمعبد في العصر الذهبي لبني إسرائيل عهد الملوك، منذ عهد داود ﷺ ثم ابنه سليمان ﷺ ثم ما تلا ذلك من عهود.

وتتحدث التوراة حديثا طويلا عن الهيكل الذي بناه سليمان ﷺ وتطنب في ذكر صفاته وهيئاته اللائقة بالنبي الملك الذي أوتي من كل شيء.

ثانيا: التلمود:

عندما تجمع اليهود في شمالي فلسطين بعد تشتيت طيطس لهم، ووجدوا حينها أن التوراة تحتاج إلى شروح وتفاسير، شرعوا في هذا العمل وأسموه (المشنة) ومعناها الإعادة أو الكتاب الثاني بعد التوراة. وانتهوا من عملهم هذا سنة ٢٠٠م، وجعلوا يوالون الشروح حتى تمت الشروح المتعددة سنة ٤٠٨م. وجمع التفسير الأول والثاني فيما سموه (التلمود الأورشليمي).

---

[1] سفر يشوع الإصحاح ١

وبعد أن أجلي قسم كبير من اليهود إلى فارس أقبلوا هناك على وضع زيادة في تفسير التوراة، ووضعوا تلمودا جديدا وسموه (التلمود البابلي) وسموا الشرح (جمارا) ومعناه الإتمام والكمال.

فالتلمود على هذا قسمان: قديم وهو (المشنة) الأورشليمي، وجديد وهو (الجمارا) البابلي.

وبلغت مجلدات التلمود عشرين مجلدا ضخما حتى صار لهذا الكتاب السيطرة على الفكر اليهودي. فالتلمود كتاب مقدس عند اليهود كالتوراة أو أكثر، وفي التلمود عبارة تشير إلى ذلك:

[إن كلمات الربانيين في كل عصر هي من كلام الله، مثل كلمات الأنبياء، والخطايا المقترفة ضد تعاليم التلمود أعظم من المقترفة ضد التوراة].

وبطبيعة الحال، فإن التلمود الذي هو شروح للتوراة يتناول أحاديث التوراة عن الأرض المقدسة والهيكل بالشروح، وبالتالي فهو يحتوي على كم كبير من الحكايات عنهما، إلا أن التلمود يتميز بأسلوبه التخريفي في سرد الوقائع وعرض العقائد.

يقول التلمود:

[تربة فلسطين طاهرة، لابد من دفن المتقين من موتى بني إسرائيل فيها، وإن لم يتيسر ذلك يوضع مع الكفن شيء من التراب المجلوب منها].

ويقول: **[ومن بعد تدمير الهيكل إلى الآن فإن الله لم ينقطع عن البكاء والنحيب، لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة، وهذه الخطيئة قد أبهظت ضمير الله، حتى إنه يطوي ثلاثة أرباع الليل منكمشا على ذاته مالئا الدنيا زئيرا كالأسد، ثم يصرخ: الويل لي لأني تركت بيتي ينهب وهيكلي يحرق وأولادي يتشتتون].**

تعالى الله العظيم الحليم عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ثالثا: بروتوكولات حكماء صهيون:

بروتوكولات حكماء صهيون كتاب يشتمل على عدة فصول، تهدف في النهاية إلى رسم تصور لإيجاد الدولة اليهودية التي ستحكم العالم من القدس تحت تاج ملك من نسل داود.

وقد وضعه لفيف من زعماء اليهود بعد مؤتمرهم العالمي الأول المنعقد في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧، برئاسة زعيم الصهيونية الحديثة (تيودور هرتزل) واجتمع فيه حشد من عتاة المفكرين اليهود يمثلون جمعية يهودية، وكان هذا المؤتمر هو المؤتمر اليهودي العالمي الأول الذي استمر في الانعقاد سنويا بعد ذلك حتى وقتنا هذا.

والبروتوكولات تمثل بلا شك مصدرا من مصادر الفكر اليهودي المعاصر.

وقد ثار جدل واسع حول مصداقية نسبة هذا الكتاب (البروتوكولات) إلى اليهود، ولكن الذين ينفون صحة نسبها إليهم لا يستطيعون تفسير التطبيق الحرفي لمعظم بنودها في العالم الذي نعيشه اليوم، إضافة إلى أنها لم تأت بجديد غير ما ورد في كتب اليهود المعترف بها منهم، مثل التلمود وكتب الشريعة اليهودية، إلا أن هذه الوثائق فصلت مجملها، وعينت الوقائع والأحوال التي تعني اليهود في العصر الحديث في كل مجالات السعي للإفساد .. في السياسة، في الاقتصاد، في الاجتماع، في الفن، في الإعلام .. إلخ

وعند النظر فيما في هذه البروتوكولات من أوجه التآمر على الجنس البشري، نلاحظ أنها تركز على وصف المملكة التي سيحكم منها المخلص المنتظر، وكيفية التمهيد لمجيئه، ومن ثم سيطرة اليهود على العالم ، دون إشارة إلى مقر ملكه.

تقول البروتوكولات:

[وحينما يأتي أوان تتويج حاكمنا العالمي سنتمسك بهذه الوسائل نفسها، أن نستغل الغوغاء كيما نحطم كل شيء قد يثبت أنه عقبة في طريقنا][1]

---

[1] البروتوكول الثالث.

[إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم يعمل في غفلة كقناع لأغراضنا، ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة في خطة عملنا في مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيرا](١)

[ما الفرق بالنسبة للعالم أن يصير سيده هو رأس الكنيسة الكاثوليكية أو أن يكون داهية من دم صهيون] (٢)

[إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية لكي نكون قادرين على القيام بهذا العمل. إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا، ولكن القادم الجديد لن يكون كفؤا إلا لأيد عريقة كأيدينا .. إن القتال المتأخر بيننا سيكون ذا طبيعة مقهورة لم ير العالم مثيلا لها من قبل، والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهمن وإن عجلات جهاز الدولة كلها تحركها قوة، وهذه القوة في أيدينا هي التي تسمى الذهب](٣)

[حكمنا سيبدأ في اللحظة ذاتها حين يصرخ الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم فيصرخون هاتفين: اخلعوهم واعطونا حاكما عالميا واحدا يستطيع أن يوحدنا .. حاكما يستطيع أن يمنحنا السلام والراحة](٤)

[حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض ، لن نتيح مكان أي دين غير ديننا](٥)

---

(١)،(٢) البروتوكول الثالث.

(٣) البروتوكول الخامس.

(٤) البروتوكول العاشر

(٥) البروتوكول الثالث عشر

بداية التخطيط لهدم الأقصى الشريف:

إن تخطيط اليهود لهدم المسجد الأقصى وبناء هيكلهم المزعوم مكانه ليس بالأمر الجديد، فإن التخطيط لاغتصاب الحرم بدأ مع دعم بريطانيا الاستعمارية للحركة الصهيونية حال قيامها أواخر القرن التاسع عشر.
فقد تولى باركر البريطاني عام ١٩١١ رئاسة بعثة بريطانية لإجراء حفريات في منطقة الحرم، وفلسطين لا تزال جزءا من الدولة العثمانية, ولكن عمليات البعثة أخفقت نتيجة رد الفعل المحلي الفلسطيني، وإثارة القضية في مجلس المبعوث العثماني.

وتروي لنا أ.د خيرية قاسمية في بحث متميز نشره الاتحاد البرلماني العربي عام ١٩٩٨ مع معهد البحوث والدراسات العربية قصة هذا التخطيط، ومحاولة الشروع في تنفيذه إثر احتلال بريطانيا لفلسطين أواخر الحرب العالمية الأولى، فتحكي لنا كيف وصلت بعثة صهيونية برئاسة حاييم وايزمن الى الإسكندرية في ١٩١٨/٣/٢٠ ومنها الى القاهرة فالقدس فيافا, وكيف هيأ حاكم القدس العسكري ستورز البريطاني استقبالا حافلا لها وعهد برفقتها، وكان فيها عنصر من أسرة روتشيلد المرابية, وقد ركزت هذه البعثة على ثلاث قضايا:
الأولى: إنشاء جامعة عبرية في القدس, والثانية: تسليم حائط البراق (المبكى) في الحرم القدسي الى اليهود, وثالثها: مشروع تملك أراضي, وتمضي خيرية قاسمية في بحثها فتعرض للضغوط الشديدة التي مارستها بريطانيا على أهل فلسطين العرب مسيحيين ومسلمين، وصمودهم أمامها، ومعارضتهم للمخطط الصهيوني الاستعماري.
وقد دعت هذه المعارضة القوية كلايتون رئيس قلم المخابرات في مقر القيادة العامة للقوات البريطانية الذي أصبح أهم الأجهزة المنفذة للسياسة البريطانية في الشرق العربي، الى أن "يتوقع مصاعب كثيرة" بشأن القضية الثانية التي هي موضوع حديثنا, "فحائط

المبكى يقع الى جوار مسجد عمر, والممتلكات التي تقع مباشرة أمام حائط المبكى موطة بوقف المغاربة", وقد كتب كلايتون للندن قائلا: "ان أي محاولة من جانب اليهود للحصول على ملكية الموقع ستثير موجة احتجاج تستغلها دعايات الأعداء".

وأشار الى ان الحاكم العسكري ستورز فاتح المفتي الشيخ كامل الحسيني بشكل خاص, فعارض تماما إجراء أي محاولة، وانتهى الى أنه من غير المرغوب اتخاذ أي إجراء حول هذا الأمر في الوقت الحاضر, ويمكن النظر به ثانية عند ظهور فرصة مؤاتية في المستقبل.

وتذكر خيرية قاسمية في بحثها القيم أن كلايتون ذكر في رسالة بعث بها الى بلفور يوم ١٩١٨/٨/٣١ أن ستورز حاكم القدس العسكري حاول إقناع المسلمين بالفائدة التي يجنوها من ضمان مبلغ كبير للملكية ليس لها قيمة كبيرة على حد قوله, ولكنه واجه معارضة شديدة، وتتالت عرائض الاحتجاج وقامت مظاهرتان عدائيتان, وتضمنت عريضة باسم الجمعيات العربية الإسلامية بالقدس الطلب من الحاكم العسكري البريطاني "التخلي عن محاولات المقايضة لوقف أبي مدين (قرب المسجد الاقصى) مؤكدين انهم ومعهم جميع المسلمين قاطبة, لن يسمحوا بالمقايضة أو الاستيلاء على هذا المكان المقدس التقليدي الذي يلاصق جامع عمر.

الإجراءات اليهودية للإستيلاء على القدس

لا يترك اليهود وسيلة تقربهم من غايتهم إلا استغلوها خير استغلال، فسعوا جادين يتلمسون كل الطرق التي قد تساعدهم في ذلك. وسخروا جميع إمكاناتهم وطاقاتهم، وجندوا كل أبناء دينهم ليقدم كل منهم ما بوسعه في سبيل إعلاء كلمتهم الباطلة. نلمس ذلك في تتبعنا لسياساتهم وأفعالهم ضد القدس الشريف الذي هو أسمى غاياتهم.

أولا: الإجراءات غير المباشرة

١-محاولات التهوين من قضية القدس:

أكد الدكتور حسن عبد الرحمن سلوادي عميد كلية الآداب في جامعة القدس أن المستشرقين اليهود يقومون بجهود حثيثة ومكثفة ضمن مخطط مرسوم هدفه التهوين من قدسية القدس ومكانتها في الإسلام من جهة وتوكيد أهميتها ومركزية النظرة إليها من التصورات اليهودية من جهة أخرى .أضاف الدكتور السلوادي أن ما يطرحه المستشرقون والكتاب اليهود يشكل الغطاء الإيديولوجي والأرضية الفكرية التي تنطلق منها سلطات الكيان الصهيوني لتنفيذ سياستها وممارساتها الرامية لطمس معالم المدينة وتهويدها.جاء ذلك من خلال بحث للدكتور السلوادي بعنوان **"المستشرقون اليهود ومحاولة التهوين من قدسية القدس ومكانتها في الإسلام"** قدم خلال مسابقة حول القدس نظمتها جمعية القدس للبحوث والدراسات في غزة وقد نال البحث الجائزة الأولى .
وأوضح الباحث أن المستشرقين ينطلقون جميعا من نقطة بدء واحدة هي أن قداسة القدس وما يرتبط بها من معتقدات وتصورات لا تتسم بالأصالة ولا تعزى إلى عوامل ذاتية نابعة

من صميم الديانة الإسلامية وإنما هي مجرد تقاليد لما تقرر بشأن هذه القداسة في الأصول الدينية والتصورات العقدية في الديانة اليهودية.

ويضيف أن المستشرقين اليهود حاولوا زعزعة المكانة التي تحتلها القدس في التطورات الإسلامية والتشكيك في أهميتها ومكانتها لدى المسلمين ولعل من أبرز محاولاتهم تأويل النصوص القرآنية وخرطها عن مقاصدها بطريقة تتلاءم مع أهدافهم وإبراز التناقض في الروايات الحديثية والتشكيك في الأحاديث النبوية التي أجمع المسلمون على صحتها. ويذهب المستشرقون إلى أبعد من ذلك فهذا المستشرق اليهودي حسون يزعم أن أغلب الأحاديث التي تتناول فضائل بيت المقدس وتتحدث عن منزلتها في الإسلام قد وضعت في أيام بني أمية، وهو بذلك يريد أن يقول أن القداسة التي أنيطت بالقدس قد نجحت وترسخت نتيجة للتطورات السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة.

ويخلص الباحث أن العديد من المستشرقين أجهدوا أنفسهم في تأويل النص القرآني وعمدوا إلى التشكيك في صحة الرواية الإسلامية التي تربط القدس الشريف بالإسلام وذلك بهدف التشويش على مكانة المدينة وقداستها لدى المسلمين غير أنهم أدركوا في النهاية عمق الرابطة وأن قداستها تزداد رسوخا في وجدان المسلمين ومن العسير عليهم الآن الحياد من هذا الجانب فاتجهوا بأنظارهم صوب تاريخ المدينة لعلهم يجدون بين أحداثه دليل يدعم توجهاتهم بأن قداسة المدينة لم يكن عليها إجماع في أية فترة من فترات التاريخ. ويؤكد الباحث أن المستشرقون اليهود أثاروا مجموعة من القضايا التي تتصل بتاريخ بيت المقدس وحضارتها منذ بداية فتحها على يد المسلمين عام ٦٣٧م حتى سقوطها في يد الإنجليز بعد هزيمتهم على يد الأتراك العثمانيين عام ١٩١٧م وكان الهدف من إثارة هذه القضايا التدليل على أن المدينة لم تكن لها أية مكانة مميزة في الإسلام ولم يكن لها أهمية تذكر من الناحيتين الاستراتيجية والإدارية.

ويشير الباحث إلى محاولات المستشرقين اليهود التهوين من منزلة القدس حيث ذهب البعض منهم مثل يمانويل سيفان إلى القول بأن احتلال المدينة وسقوطها في يد الفرنجة عام ١٠٩٢م لم يكن له صدى في أرجاء العالم العربي والإسلامي وكذلك تفريط ملوك المسلمين بها والتنازل عنها للملوك الصليبيين مثلما فعل الملك الكامل حين سلمها وبيت لحم إلى الملك الصليبي فردريك الثاني في فبراير ١١٢٩م دون أن يكون لهذا الحدث رد فعل يتناسب مع أهميته وخطورته .

ولكن الدكتور السلوادي يؤكد أن هذه الحوادث عززت من مكانة القدس وأن ردود الفعل التي أعقبتها أثبتت أن للقدس مكانة لا تعادلها سوى مكانة مكة والمدينة وأشار الباحث إلى ما تحدثت عنه المصادر القديمة من دعوة لمجاهدة الصليبيين وتخليص القدس من أرجاسهم واستشهد الباحث بما وصفه ابن كثير وهو من المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة ردود الانفعال وقال سنة ٤٩٢هـــ أخذت الإفرنج بيت المقدس وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى الطرق مستغيثين على الإفرنج إلى الخليفة وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد.

وكذلك ما حدث بعد تسليم الملك الكامل المدينة المقدسة للصليبيين وما أحدثه من دور هائل وصفه مجير الدين الحنبلي بقوله " أن المسلمين حين سمعوا بأنباء تسليم المدينة غضبوا واشتد بكاؤهم ".

ويؤكد الباحث أن المستشرقين لم يكونوا معنيين بالوقوف على هذه في كتاباتهم لإحساسهم بأن مكانتها وأفكارها قد ترسخ المكانة التي تحتلها القدس في نفوس المسلمين أضاف الباحث أن المستشرقين يهود، وكان جل تركيزهم في البحث والتنقيب عن أي خبر أو إشارة تسعفهم عن اختلاق دور تاريخي لليهود في التصدي للعدوان الصليبي

وتشكيل ذلك الدور وصياغته بطريقة توحي أنهم أصحاب الأرض وأنهم تعرضوا للعدوان ودافعوا عن البلاد مثلما فعل العرب فهم يتحدثون عادة عن اليهود الذين مكثوا في فلسطين دفاعا عن مدنهم وقراهم التي هاجمها الصليبيون ويركزون الحديث على مقاومة اليهود القاطنين في بيت المقدس واستبسالهم في الدفاع عن المدينة .ويؤكد الدكتور السلوادي أن اليهود في تلك الفترة لم يكونوا مؤهلين للقيام بدور المقاومة الذي تحاول الدعاية الصهيونية اختلاقه لهم ذلك لأنهم لم يكونوا يعيشون في كيان سياسي مستقل و لم يكونوا يملكون الجيوش أو الوسيلة العسكرية التي تمكنهم من التصدي للعدوان الصليبي و لم يشاركوا المسلمين عبء التصدي والمواجهة بل هناك شواهد دالة على تواطؤ العديد منهم مع القوات الطارئة.

٢- نظريات إزالة الأقصى:

لم تتوقف آلة العمل التخريبي التدميري الصهيوني اليهودي عند النوايا والمخططات، بل وضعت لها النظريات المتعددة التي تلتقي كلها عند نقطة إزالة المقدسات الإسلامية وبناء الهيكل. فقد صدر كتاب مؤخرا في الكيان الصهيوني بعنوان «أحلام اليقظة» تبنى واضعوه أربع نظريات لإزالة المسجد الأقصى وبناء الهيكل الثالث مكانه.

وتدعو أولى النظريات إلى بناء عشرة أعمدة بعدد الوصايا العشر قرب الحائط الغربي من المسجد الأقصى بحيث تكون الأعمدة على ارتفاع ساحة المسجد حاليا، ومن ثم يقام عليها «الهيكل الثالث» ويربط هذا المبنى بما يعتقدونه بعمود مقدس يوجد حاليا كما يتوهمون في ساحة قبة الصخرة.

أما ثاني النظريات، وهي شبيهة بسابقتها تطالب بإقامة الهيكل الثالث قرب الحائط الغربي من المسجد الأقصى بشكل عامودي، بحيث يصبح الهيكل أعلى من المسجد الأقصى، ويربط تلقائيا مع ساحة المسجد من الداخل.

وتتبنى ثالث نظريات الكتاب فكرة ما يسمى بـــ «الترانسفير العمراني» ومفادها حفر مقطع التفافي حول مسجد قبة الصخرة بعمق كبير جدا ونقل المسجد كما هو خارج القدس وإقامة الهيكل.

أما آخر النظريات الأربع فتدعو إلى إنشاء الهيكل على أنقاض المسجد برمته.

واستنادا إلى هذه النظريات الإرهابية الصهيونية الرامية إلى محو الأقصى وبناء الهيكل، وفي الميدان هناك على أرض القدس تواصلت التحركات والنشاطات السرية والعلنية الساعية إلى إخراج النظريات والمخططات إلى حيز التنفيذ.فقد جاء في تقرير حول تلك النشاطات أن الحركات اليهودية المتطرفة كثفت نشاطاتها الخاصة بإقامة «الهيكل» في منطقة المسجد الأقصى الشريف، وأن المظاهرات التي يقوم بها أعضاء حركة « أمناء جبل الهيكل» لم تعد هي النشاطات الوحيدة في هذا الإطار «صحيفة القدس المقدسية ١٩٩٩/٩/١١».

وجاء في تقرير لاحق أنه: يجري في كواليس صانعي القرار في الكيان الصهيوني تداول مقترح للدكتور يفراح زلبرمان من «مركز القدس لدراسات إسرائيل» بشأن بناء موقع يهودي في منطقة الحفريات في الحائط الجنوبي للأقصى الشريف على أعمدة تحول دون الإضرار بالمواقع الأثرية الملتصقة بالحائط الغربي، وبحيث يكون هذا البناء حتى مستوى الحرم من دون أن يلتصق بالحائط الجنوبي. ويتضمن هذا المقترح أن يكون البناء مركزا دينيا عالميا لكل التيارات اليهودية كما يتضمن المقترح الفصل في مواقع الصلاة بين

السطح العلوي للأقصى والسطح السفلي الأرضي تحته مشيراً إلى أن الطريقة للوصول إلى استخدام هذه المواقع تتم فقط في المفاوضات.

وكشفت مصادر عبرية النقاب أيضاً عن: " أن الجماعات اليهودية المتطرفة التي تسعى إلى بناء (الهيكل) مكان المسجد الأقصى الشريف أكملت قبل حوالي شهر إعداد فانوس من الذهب شبيه بالفانوس الذي كان يستخدم في عهد الهيكل الثاني، وتم استخدام حوالي ٤٢ كغم من الذهب الخالص في صنع هذا الفانوس. ولقد كلف صنع الفانوس حوالي خمسة ملايين شيكل تبرع بها رجل الأعمال اليهودي الأوكراني فاديم ربينوفيتش". وذكرت صحيفة كول هعير العبرية أن معهد الهيكل الذي أنشأته حركات يهودية متطرفة في مقدمتها أمناء جبل الهيكل يعكف على صنع أدوات أخرى ستخصص للاستخدام في الهيكل الذي يجري التخطيط لإقامته بما في ذلك مذبح من الذهب وطاولة. وكان «معهد الهيكل» الموجود في البلدة القديمة بالقدس على حد الزعم اليهودي قد صنع نموذجاً من البلاستيك للفانوس المذكور وقبل عامين توجه رؤساء المعهد إلى المليونير اليهودي من أوكرانيا لتمويل شراء الذهب الذي استخدم لطلاء النموذج.

وقالت الصحيفة إن المتطرفين اليهود يواصلون إعداد الأدوات اللازمة للهيكل على أمل أن يأتي يوم تحقق فيه أهدافهم «صحيفة هعير الصهيونية ١٩٩٩/١٠/٢». بينما أفادت مصادر مطلعة «أن محافل يمينية يهودية متطرفة اتفقت مؤخراً على تكثيف جهودها وتحضيراتها الرامية لإعادة بناء ما يزعم أنه «الهيكل المقدس» لليهود في القدس المحتلة»، وذكرت صحيفة « هآرتس» العبرية ٢٠٠٠/٣/١ أن ست حركات يمينية متطرفة تنشط في نطاق المحاولات والمساعي الهادفة إلى فرض السيطرة اليهودية على المسجد الأقصى الشريف أسست صندوقاً خاصاً أطلق عليه اسم « اوتسار هكداش»، ويعني (خزينة الهيكل المقدس)، حيث تم تسجيله رسمياً كجمعية وقفية يهودية لدى مسجل الأملاك

الوقفية في وزارة القضاء الصهيونية، وقالت مصادر الحركات اليمينية المتطرفة القائمة على هذا التحرك إن الهدف المعلن لـ « الصندوق» هو «جمع التبرعات لإقامة الهيكل المقدس الثالث بما في ذلك تمويل كافة النشاطات التحضيرية لإقامة الهيكل»، وكان النشاط المشترك الأول لهذه الحركات اليهودية المتطرفة الست، والذي تم في وقت سابق من العام الماضي تمثل في سك وتوزيع قطعة عملة مصنوعة بمبلغ عشرين شيكلاً (٨,٤دولار) للقطعة الواحدة.

وأشارت الصحيفة إلى إحدى النشاطات الأولى التي سيتم تمويلها من أموال صندوق الجماعات اليمينية ستكون الإعلان عن تنظيم منافسة بين مهندسين لوضع تصاميم لمحيط المسجد الأقصى الشريف في نطاق خطط إعادة بناء الهيكل اليهودي المزعوم التي تعد لها دوائر ومحافل المتطرفين اليهود. وأوضحت الصحيفة أن الحركات اليمينية الصهيونية التي اشتركت في تأسيس الصندوق الذي يقف على رأسه البروفيسور اليميني المتطرف « هيلل فايس» المقيم في مستوطنة واد قانا شمال سلفيت تضم كلاً من "الحركة من أجل إقامة الهيكل المقدس"، "معهد الهيكل المقدس"، حركة "حي وباقي" حركة "هذه أرضنا" حركة «نساء من أجل بيت المقدس»، وحركة «إلى جبل هامور».

٣- تنظيمات هدم الأقصى وبناء الهيكل:

على المستوى التنظيمي داخل دوائر الأحزاب والحركات الدينية اليهودية فإنه لا مجال هناك للتردد والركون الى التطمينات الصادرة عن المستويات السياسية، ولعل الأمر الذي يشغل الكثيرين هو حقيقة أن هناك أكثر من خمسة عشر تنظيما وحركة دينية يهودية ترى في رسالتها الوحيدة العمل على تمكين اليهود من السيطرة على المسجد الأقصى، معظم

هذه الحركات موجود داخل حدود الدولة المغتصبة ولكن جزءا منها موجود في كل من الولايات المتحدة وعلى الأخص في حي بروكلين نيويورك، وكذلك فإن هناك حركة دينية يهودية مقيمة في استراليا تجمع كل عام أكثر من ثلاثة ملايين دولار من أجل السيطرة اليهودية على المسجد الأقصى، ويتزعم هذه الحركة الملياردير و الحاخام اليهودي يوسيف جوتنيك وهو من أصحاب مناجم الذهب في استراليا ويتولى ايضا تقديم ملايين الدولارات سنويا لمشاريع استيطانية لليهود بالقرب من المسجد الإبراهيمي في الخليل. وكما يقول شاحر ايلان المختص بشؤون الحركات الدينية اليهودية فإن القاسم المشترك لجميع هذه الحركات هو أنها تؤمن بضروة إقامة الهيكل الثالث على أنقاض المسجد الأقصى وتتعامل مع ذلك كما لو كان عملا مشروعا حسب قوانين الدولة الصهيونية.

وكما يقول شاحر ايلان فإن هدف هذه المجموعات هو زيادة الشريحة الشبابية داخل الكيان الصهيوني التي تؤمن بضرورة القيام بعمل ما من أجل جعل السيطرة على المسجد الأقصى يهودية خالصة تماما. وعلى الرغم من أنهم يؤمنون أنه في النهاية لا غنى عن عمل تخريبي من أجل تدمير المسجد الأقصى وإنهاء ملفه كما قال يسرائيل تسيدون أحد مؤسسي تنظيم «امونا» الذي يعتبر أحد أبرز الدعاة لهدم الأقصى على رؤوس المصلين المسلمين أثناء صلاة الجمعة.

لكن لا يتوقف العمل على الصعيد التنظيمي الضيق الذي قد يتم إحباطه من قبل الأجهزة الأمنية التي ترى في أي عمل يقوم به المتطرفون اليهود ضد المسجد الأقصى بمثابة كارثة أمنية على دولة الكيان، إذ إنه سيشعل الأرض تحت أقدامهم كما قال رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق بنيامين نتنياهو ذات مرة. من هنا فإن هذه التنظيمات تمازج أيضا عملها التنظيمي بعمل جماهيري تعبوي بغية أن يأتي من هو لا ينتمي لهذه التنظيمات ويقدم على العمل الذي تخطط له، من هنا فإن الجهد الجماهيري التعبوي منصب على تجنيد شباب فكريا وعلى الأخص أولئك الشباب الذين ينضمون للجيش حديثا ، وليس سرا أن

منتسي هذه التنظيمات يسعون الى تجنيد ضباط يخدمون في سلاح الجو الصهيوني لكي يقوموا بقصف المسجد أثناء تحليق طائراتهم فوق قبابه.

وتنقسم المنظمات الضالعة في المؤامرة على الأقصى الشريف إلى عدة أقسام تبعا لتوجهاتها.
فمنها منظمات ذات توجه سياسي ديني مثل المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية التي تأسست سنة ١٩١٩م ، والوكالة اليهودية لإسرائيل وتأسست سنة ١٩٢٩م ، والمنظمة الصهيونية العالمية وتأسست سنة ١٩٧١م ، الاتحاد الصهيوني الأمريكي وتأسس سنة ١٩٧٠م ، المنظمة الصهيونية النسائية (هداسا) وتأسست سنة ١٩١٢م ، المنظمة الصهيونية في أمريكا وتأسست سنة ١٨٩٧م ، ورابطة الصهيونيين الإصلاحيين في أمريكا وتأسست سنة ١٩٧٧م.
ومنها منظمات دينية طائفية يهودية مثل مجلس الاتحادات اليهودية وتأسس سنة ١٩٣٢م ، والمجلس الاستشاري لعلاقات الطائفة اليهودية الأمريكية وتأسس سنة ١٩٤٤م واللجنة اليهودية الأمريكية وتأسست سنة ١٩٠٦م ، والكونجرس اليهودي الأمريكي وتأسس سنة ١٩١٨م ، وعصبة مناهضة الافتراء وتأسست سنة ١٩١٣م.
ومنها منظمات الدعم المالي مثل منظمة النداء اليهودي المتحد وتأسست سنة ١٩٣٩م ، واللجنة اليهودية الأمريكية للتوزيع المشترك وتأسست سنة ١٩١٤م ، والصندوق القومي اليهودي وتأسس سنة ١٩٠١م ، ومنظمة سندات دولة إسرائيل وتأسست سنة ١٩٥١م.
هذا بالإضافة إلى جماعات اللوبي السياسي الموالي لإسرائيل والتي تعمل ضمن النظام السياسي الأمريكي لكي تؤثر في وضع السياسات على وجه يتفق مع قضيتها.

ثانيا: الإجراءات الموجهة للأقصى مباشرة

١- حادث البراق:

يمثل حائط البراق الجزء الجنوبي الغربي من جدار الأقصى الشريف ويبلغ طوله (٤٧) متراً وارتفاعه (١٧) متراً ويعد من الأملاك الإسلامية، لأنه يشكل جزءاً من الأقصى الشريف، ويقال أيضا أن النبي ﷺ ربط دابته البراق في الحائط ليلة الإسراء، وسمي حائط البراق نسبة إلى دابة الرسول ﷺ ويطلق عليه باللغة العبرية اسم (كوتل معمراني) ويدعي اليهود أن هذا الحائط هو الجدار الخارجي لهيكل سليمان عليه السلام متناسين ما حل بالهيكل في عهد هدريان.

ويطلق على حائط البراق اسم حائط المبكى وذلك لأن اليهود اعتادوا في عهد هدريان الذهاب إلى مدينة القدس والبكاء على أطلال هيكلهم الذي زالت آثاره من شدة الحريق الذي أتى عليه، وقد أخذت أجيال اليهود في القدوم إلى آثارهم كي يقوموا بالبكاء والنواح على مجدهم الزائل عند حائط البراق.

أما القسم الذي كان دائما موضوع الخلاف بين المسلمين واليهود فهو عبارة عن ثلاثين مترا من الحائط الخارجي المذكور ويمتد أمام ذلك القسم من الحائط رصيف لا يستطاع سلوكه إلا من الطرف الشمالي من زقاق ضيق يبتدئ من باب السلسلة ويمتد هذا الرصيف جنوبا إلى حائط آخر. ويفصل هذا الحائط بخط مستقيم رصيف — حائط البراق — عن بضعة بيوت عربية خصوصية وعن موقع مسجد البراق في الجهة الجنوبية [1] الذي

---

[1] أحمد عبد ربه البصبوص، القدس تناديكم (عمان، دار البشير للنشر والتوزيع ١٩٩٥).

هدمه اليهود عند إزالتهم حارة المغاربة في أعقاب احتلالهم لمدينة القدس عام ١٩٦٧[١].
وقد جرت اشتباكات عديدة بين الفلسطينيين سكان الأرض الأصليين واليهود بسبب تجاوز اليهود لهامش الحرية الذي منحهم إياه المسلمين من زيارة حائط البراق، وكان أبرز هذه الثورات ثورة البراق في العام ١٩٢٩، إذ جلب اليهود مساءً ٢٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٢٨ أدوات جديدة إلى المبكى وأقاموا ستاراً يفصل بين الرجال والنساء ونفخوا في الصور، فأثار هذا المسلمين وجعلهم يعتقدون أن الغاية الأخيرة لليهود هي استملاك المسجد الأقصى تدريجياً زاعمين أنه الهيكل، مبتدئين بالجدار، وصدرت الأوامر الرسمية إلى اليهود بنزع الستار فلم يفعلوا فتولى البوليس رفعه، فهاج هائجهم واشتد التوتر، وسارت حشودهم في ١٥ آب ١٩٢٩ (يوم عيد صيامهم) في موكب نحو الحائط حيث رفعوا العلم الصهيوني وأنشدوا نشيدهم الوطني وهتفوا "الحائط حائطنا".
وفي اليوم التالي الجمعة ١٦ آب/ أغسطس خرج المسلمون من صلاة الجمعة من الأقصى في تظاهرة نحو البراق حيث قلبوا منضدة للشماس اليهودي، وأحرقوا الاسترحامات التي أعتاد المصلون اليهود وضعها في ثقوب الحائط. فزاد هذا في اشتداد التوتر وامتدت الاشتباكات إلى باقي أنحاء فلسطين وكان ذروتها في ٢٩ آب/ أغسطس وعلى إثر هذه الاضطرابات عينت حكومة الانتداب البريطانية لجنة دولية للتحقيق في ملكية الحائط في العام ١٩٣٠[٢].
وقامت اللجنة بالتحقيق والتدقيق في أقوال الفلسطينيين أصحاب الأرض واليهود وأصدرت تقريرها المشهور والذي أكد على أحقية المسلمين والفلسطينيين في حائط البراق، وقد جاء في استنتاجات التقرير، للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي،

---

[١] محمد محمد حسن شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة، (دمشق: دار القلم، ١٩٩٤).

[٢] أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية (عمان) : دار الجليل للدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط٣، ١٩٨٦.

ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من ساحة الأقصى الشريف التي هي من أملاك الوقف. وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفا حسب أحكام الشرع الإسلامي بجهات البر والخير[1].

٢- حريق المسجد الأقصى:

كانت جريمة إحراق المسجد الأقصى المبارك أولى المحاولات البارزة لتدمير هذا المكان المقدس وتخريبه.

ففي ١٩٦٩/٨/٢١ قام الإرهابي اليهودي الأسترالي «دينيس مايكل» وبدعم من العصابات اليهودية المغتصبة للقدس بإحراق المسجد الأقصى المبارك في جريمة تعتبر من اكثر الجرائم ايلاما بحق الأمة وبحق مقدساتها.

المجرم الأسترالي «دينيس مايكيل» قام بإشعال النيران في المسجد الأقصى، فأتت ألسنة اللهب المتصاعدة على أثاث المسجد المبارك وجدرانه ومنبر صلاح الدين الايوبي ذلك المنبر التاريخي الذي أعده القائد صلاح الدين لإلقاء خطبة من فوقه لدى انتصاره وتحرير لبيت المقدس، كما أتت النيران الملتهبة في ذلك الوقت على مسجد عمر بن الخطاب ومحراب زكريا ومقام الأربعين وثلاثة أروقة ممتدة من الجنوب شمالا داخل المسجد الأقصى.

---

(١) الحق العربي في حائط المبكى في القدس تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم عام ١٩٢٣ (بيروت: موسسة الدارسات الفلسطينية ١٩٦٨)

و بلغت المساحة المحترقة من المسجد الأقصى أكثر من ثلث مساحته الإجمالية، حيث احترق ما يزيد عن ١٥٠٠م٢ من المساحة الأصلية البالغة ٤٤٠٠م٢ وأحدثت النيران ضررا كبيرا في بناء المسجد الأقصى المبارك وأعمدته وأقواسه وزخرفته القديمة، وسقط سقف المسجد على الأرض نتيجة الاحتراق وسقط عمودان رئيسان مع القوس الحامل للقبة كما تضررت أجزاء من القبة الداخلية المزخرفة والمحراب والجدران الجنوبية وتحطم ٤٨ شباكا من شبابيك المسجد المصنوعة من الجبص والزجاج الملون، واحترق السجاد وكثير من الزخارف والآيات القرآنية.

وقد كانت جريمة إحراق المسجد الأقصى من أبشع الاعتداءات بحق الأقصى الشريف، كما كانت خطوة يهودية فعلية في طريق بناء الهيكل اليهودي المزعوم مكان المسجد الأقصى وكانت الكارثة الحقيقية والصدمة التي أعقبت هذا الاعتداء الآثم أن قامت محاكم الكيان الصهيوني بتبرئة ساحة المجرم الاسترالى بحجة أنه «مجنون» !! ثم أطلقت سراحه دون أن ينال أي عقوبة أو حتى إدانة!!

وصرح المجرم «دينيس مايكل» لدى اعتقاله أن ما قام به كان بموجب نبوءة في سفر زكريا مؤكدا أن ما فعله هو واجب ديني كان ينبغي عليه فعله، وأعلن أنه قد نفذ ما فعله كمبعوث من الله!!

وعلى الرغم من أن الدلائل وآثار الحريق كانت تشير إلى تورط مجموعة كاملة في الجريمة وأن هناك شركاء آخرين مع اليهودي المذكور إلا أن قوات الأمن الصهيونية لم تجر تحقيقا في الحادث و لم تحمل أحدا مسؤولية ما حدث وأغلقت ملف القضية بعد أن اكتفت باعتبار الفاعل مجنونا!!

ويقول اليهود إن «طيطس» قد دمر الهيكل الثاني الذي يزعمون أنه كان مقاما مكان المسجد الأقصى في ٧٠/٨/٢١م ولذلك فإن هذا التاريخ يمثل ذكرى حزينة لديهم ،

ولذلك لديهم الدافع لارتكاب اعتداءات ضد المسلمين وضد المسجد الأقصى للإسراع في بناء الهيكل الثالث المزعوم، ولهذا يلاحظ أن الاعتداءات اليهودية عادة ما تزداد في شهر آب اغسطس من كل عام منذ احتلال اليهود لأرض فلسطين!!

ولم يكتف اليهود باحراق المسجد الاقصى قبل ٣١ عاما، كما لم تكن جريمة الاحراق حدثا عابرا، بل كانت خطوة على طريق طويل يسيرون فيه.

٣- الحفريات:

كانت الحفريات حول المسجد الأقصى وتحته من الناحيتين الغربية والجنوبية إحدى المحاولات لتخريب وتصديع جدرانه وهي تبدو في ظاهرها محاولة للبحث عن بقايا الهيكل المزعوم، إلا أنها تهدف في حقيقتها إلى هدم وإزالة المباني الإسلامية الملاصقة أو المجاورة لحائط البراق وعلى امتداده، كما تهدف إلى الاستيلاء على الأقصى الشريف وتخريبه وإنشاء الهيكل في الموقع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى وقبة الصخرة. وقد بدأت الحفريات الإسرائيلية حول المسجد الأقصى في أواخر عام ١٩٦٧ ومرت حتى الآن بتسع مراحل وهي كما يلي[1]:

المرحلة الأولى:

بدئ بها في أواخر عام ١٩٦٧ وتمت سنة ١٩٦٨ وقد جرت على امتداد (٧٠) مترا من أسفل الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى الشريف خلف قسم من جنوب المسجد الأقصى وأبنيته جامع النساء والمتحف الإسلامي والمئذنة الفخرية الملاصقة له. ووصل عمق هذه

---

[1] اللجنة الملكية لشوون القدس وثائق حول الحفريات الإسرائيلية المحيطة بالمسجد الأقصى المبارك (عمان) وكذلك رائف نجم، الإعمار الهاشمي في القدس.

الحفريات إلى ١٤ مترا،وهي تشكل مع مرور الوقت عامل خطر يهدد بإحداث تصدعات لهذا الحائط والأبنية الدينية والحضارية والأثرية الملاصقة له وقد مولت الجامعة العبرية هذه الحفريات التي ترأس فريقها البروفيسور بنيامين مزار ومساعده مئير بن دوف، أما ما تم اكتشافه في هذه الحفريات فكان آثارا إسلامية أموية وآثارا رومانية وبيزنطية.

المرحلة الثانية:

انتهت هذه الحفريات سنة ١٩٦٩، وقد جرت على امتداد (٨٠) مترا آخر من سور الأقصى الشريف، مبتدئة حيث انتهت المرحلة الأولى، ومتجهة شمالا حتى وصلت أحد أبواب الأقصى الشريف المسمى (باب المغاربة) مارة تحت مجموعة من الأبنية الإسلامية الدينية التابعة للزاوية الفخرية (مركز الإمام الشافعي) وعددها (١٤)، صدعتها جميعها وتسببت في إزالتها بالجرافات الإسرائيلية بتاريخ ١٩٦٩/٦/١٤ وإجلاء سكانها. ويقول مئير بن دوف أنه اكتشف أساسات ثلاثة قصور أموية اثنان منها متشابهان والثالث يختلف قليلا عن سابقيه.

المرحلة الثالثة:

بوشرت هذه الحفريات سنة ١٩٧٠ وتوقفت سنة ١٩٧٤ ثم استئنفت ثانية سنة ١٩٧٥ حتى أواخر عام ١٩٨٨ وقد امتدت من مكان يقع أسفل عمارة المحكمة الشرعية القديمة (تعتبر من أقدم الأبنية التاريخية الإسلامية في القدس) مارة شمالا بأسفل خمسة أبواب من أبواب الأقصى الشريف، وهي باب السلسلة وباب المطهرة وباب القطانين وباب الحديد وباب علاء الدين البصيري (المجلس الإسلامي) وعلى امتداد (١٨٠) مترا وفوقها مجموعة من الأبنية الدينية والحضارية والسكنية والتجارية تضم أربعة مساجد ومئذنة قايتباي الأثرية وسوق القطانين، وعدد من المساكن والمدارس الأثرية. وقد وصلت أعماق هذه

الحفريات إلى أبعاد تتراوح بين ١٠ إلى ١٤ متران وطول حوالي (٤٠٠) متر، ونتج عن هذه الحفريات تصدع عدد من الأبنية منها الجامع العثماني، ورباط الكرد والمدرسة الجوهرية، والمدرسة المنحكية (مقر المجلس الإسلامي) والزاوية الوفائية كما جرى تحويل الجزء السفلي من المحكمة الشرعية إلى كنيس يهودي.

وفي شهر آذار من عام ١٩٨٧ أعلن الإسرائيليون أهم اكتشفوا القناة التي كان قد اكتشفها قبلهم الجنرال الألماني (كونراد تشيك) في القرن التاسع عشر بطول ٥٠٠ م. و لم يكتف الإسرائيليون بإيصال النفق بالقناة بل قاموا بتاريخ ١٩٨٨/٧/٧ وتحت حماية الجيش الإسرائيلي بحفريات جديدة عند ملتقى طريق باب الغوانمة مع طريق المجاهدين (طريق الآلام) بهدف حفر فتحة رأسية ليدخلوا منها إلى القناة الرومانية وإلى النفق ولكن تصدى لهم المواطنون في القدس الشريف ومنعوهم من الاستمرار فاضطرت السلطات الإسرائيلية إلى إقفال الفتحة وإعادة الوضع السابق.

المرحلتين الرابعة والخامسة:

بدئ بهما سنة ١٩٧٣ واستمرتا حتى العام ١٩٧٤ في موقع خلف الحائط الجنوبي الممتد من أسفل الجانب الجنوبي الشرقي للمسجد الأقصى وسور المسجد الأقصى الشريف ويمتد الحفر على مسافة تقارب الثمانين مترا إلى الشرق وقد اخترقت هذه الحفريات خلال شهر تموز يوليو ١٩٧٤ الحائط الجنوبي للأقصى الشريف ودخلت منه إلى المسجد الأقصى بعمق ٢٠ متر، وأسفل جامع عمر وتحت الأبواب الثلاثة للأروقة السفلية للمسجد الأقصى والأزقة الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى، ووصلت أعماق هذه الحفريات إلى أكثر من (١٣) مترا وأصبحت تعرض السور والمسجد الأقصى لخطر الانهيار بسبب قدم البناء وتفريغ التراب الملاصق للحائط من الخارج إلى أعماق كبيرة، بالإضافة إلى العوامل المناخية.

المرحلة السادسة:

بدئ بها في عام ١٩٧٧ وتركزت في مكان قريب من منتصف الحائط الشرقي لسور المدينة وسور الأقصى الشريف الذي يقع بين باب السيدة مريم والزاوية الشمالية الشرقية من سور المدينة وتمدد أعمال الحفر في هذه المرحلة بإزالة وطمس القبور الإسلامية التي تضمها أقدم مقبرة إسلامية في المدينة. وقد نتج عن هذه الحفريات مصادرة الأرض الملاصقة لإحدى هذه المقابر وإنشاء جانب من منتزه إسرائيل الوطني فيها.

المرحلة السابعة:

وهي مشروع تعميق ساحة البراق الشريف وهي ملاصقة للحائط الغربي للمسجد المبارك وللأقصى الشريف ويفضي هذا المشروع بضم أقسام أخرى من الأراضي الغربية المجاورة للساحة وهدم ما عليها وحفرها بعمق تسعة أمتار.

ويعرض المشروع الجديد الأبنية الملاصقة والمجاورة لخطر التصدع والانهيار ثم الهدم وتضم هذه الأبنية عمارة المحكمة الشرعية القديمة المعروفة بالمدرسة التنكزية. وعمارة المكتبة الخالدية. وزاوية ومسجد أبو مدين الغوث وكلاهما من الأوقاف الإسلامية بالإضافة إلى ٣٥ عقارا يسكنها ما لا يقل عن ٢٥٠ مواطنا عربيا.

المرحلة الثامنة:

تقع حفريات هذه المرحلة خلف جدران المسجد الأقصى المبارك وجنوبيها وتعتبر استئنافا للمرحلتين الرابعة والخامسة، وقد بدئ بها سنة ١٩٦٧ وتحت شعار كشف مدافن ملوك إسرائيل في (مدينة داود).

وخشي أن تتصدع الجدران الجنوبية للمسجد الأقصى المبارك. وقد نشب حولها خلاف بين جماعة ناطوري كارتا التي تطالب بوقف الحفر وفريق الحفر التابع لوزارة الأديان.

المرحلة التاسعة:

بتاريخ ١٩٨١/٨/٢١ (ذكرى إحراق المسجد الأقصى) أعادت سلطات الاحتلال الإسرائيلية فتح النفق الذي اكتشفه الكولونيل الإنجليزي وارين عام ١٨٦٧م، ويقع ما بين بابي الأقصى المسماة باب السلسلة وباب القطانين،أسفل جانب من الأقصى اسمه(المطهرة) وتوغلت أسفل ساحة الأقصى من الداخل على امتداد (٢٥) مترا شرقا وبعرض (٦) أمتار، ووصلت إلى أسفل سبيل قايتباي. وقد أدت هذه الحفريات مبدئيا إلى تصدع في الأروقة الغربية الواقعة ما بين بابي السلسلة والقطانين للأقصى الشريف. وقد تدخلت دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس وأقفلت باب النفق بالخرسانة المسلحة بتاريخ ١٩٨/٨/٢٩. وقد تم افتتاح النفق مرة أخرى عشية عيد الغفران اليهودي يوم ١٩٩٦/٩/٢٤م.

٤- محاولات النسف:

توالت المحاولات الإسرائيلية لنسف المسجد الأقصى وللأقصى الشريف ومن أبرزها:

- في أيار/ مايو ١٩٨٠ عثرت قوات الأمن الإسرائيلية على مخزن للمتفجرات بالقرب من المسجد الأقصى كان قد أعده الإرهابي مائير كهانا وعصباته[١].

- في ١١آذار/ مارس ١٩٨٣ اكتشف الحراس العرب[٢] رجالا من المستوطنين اليهود يقفون بجوار الحائط الجنوبي للأقصى ويحملون معهم المتفجرات وأدوات الحفر وعندما حاصرهم الحراس أعلموا الشرطة، فألقت القبض عليهم واعتقلتهم ثم أطلقت سراحهم !

- في ١٩٨٤/١/٣٠ اكتشفت ثلاثة قنابل يدوية من النوع الذي يستخدمه جيش الاحتلال الإسرائيلي أمام باب الأسود، وكانت هذه القنابل مخبأة في إحدى ممار القرع[٣].

- اكتشف الحراس العرب شحنة متفجرة أسفل بعض الأغصان، وكانت ستنفجر عند وصول المستشار الألماني هيلموت كول لزيارة الأقصى الشريف عام ١٩٨٥[٤].

---

(١) جامعة الدول العربية : الإدارة العامة لشوون فلسطين، الذكرى التاسعة عشرة لإحراق المسجد الأقصى المبارك، ١٩٨٨.

(٢) عارف العارف، تاريخ قبة الصخرة والمسجد الأقصى ولمحة عن تاريخ القدس.

(٣) أحمد عبد ربه البصبوص، مرجع سابق.

(٤) رائف نجم، الإعمار الهاشمي في القدس.

ومن الأمثلة الصارخة على المحاولات الهستيرية لنسف الأقصى الشريف ما يلي:

فقد جاء لاحقاً في اعتراف خطير لكرمي غيلون رئيس جهاز الأمن الداخلي الصهيوني «الشين بيت» السابق «أنه عشية الانسحاب الأخير من سيناء عام ١٩٨٢ كانت خطة تفجير قبة الصخرة والمسجد الأقصى على أيدي مجموعة يمينية متطرفة جاهزة للتنفيذ غير أن تردد أحد الذين أعدوا الخطة في اللحظة الأخيرة حال دون تنفيذها. وأوضح غيلون في مقال له نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت العبرية يوم ٢٠٠٠/٤/٢٥ أن القائمين على خطة تفجير قبة الصخرة كانوا ثلاثة أشخاص من المتزمتين أيديولوجيا وهم دان باري ويوشاع بن شوشان ويهودا عتصيون وانضم إليهم فيما بعد شخص رابع يدعى مناحيم ليفني الذي خدم في الجيش في وحدة الوسائل الخاصة لسلاح الهندسة.

وقال غيلون أنه عندما دخلت الفكرة مرحلة التخطيط أصبح هناك حاجة لدخول شخص يفهم بقضية التفجيرات وعندها دخل مناحيم ليفني على الصورة والذي بدأ على الفور بالتخطيط العملياتي لنسف قبة الصخرة. وقال غيلون إن المجموعة نجحت في تلك الفترة في تجنيد ٢١ شخصاً وباشروا في جمع معلومات استخبارية وقاموا بجولات ميدانية في المسجد الأقصى حتى أن أحدهم تخفى في إحدى المرات بزي كاهن وادعى أنه كاهن فرنسي يقوم ببحث عن المسجد الأقصى ويحتاج إلى دراسة المسافات بين الأعمدة التي تستند عليها قبة الصخرة وقام حراس المسجد بمساعدته واستقبلوه بحفاوة بالغة وساعدوه في مهمته.

وتابع يقول: «وخلال عامين طور ليفني أجهزة خاصة من أجل نسف الأعمدة التي تستند عليها القبة.. وصل إلى الاستنتاج بأنه من الأفضل استخدام مواد شديدة الانفجار».

ولكن هذه المواد التي اختارها ليفني لم تكن موجودة إلا في وحدات الهندسة التابعة للجيش وكميتها تخضع للرقابة، وهنا اضطر ليفني إلى التفكير بوسيلة أخرى وكان الحل في «الثعبان المدرع» وهي وسيلة قتالية كانت سرية في ذلك الحين وهو عبارة عن صاروخ يطلق إلى حقل ألغام مضاد للدبابات يحمل في ذيله كمية كبيرة من المادة الناسفة المختارة.

وقال الكاتب أن ليفي كان يعرف أن «الثعبان المدرع» موجود في وحدات المدرعات وهكذا تسلل مع عدد من أعضاء المجموعة إلى قاعدة مدرعات في هضبة الجولان وحصلوا على المادة الناسفة. وبعدها قامت المجموعة بإعداد العبوات الناسفة التي ستستخدم في العملية حيث أعدوا اسطوانات تفجير لتوجيه الصدى إلى الداخل نحو الأعمدة، وقال غيلون: «لقد عثرنا على هذه العبوات التي تم إخفاؤها في كفار ابرهام في بتاح تيكفا (شمال) بكاملها مغلقة بالبولياتيلين وجاهزة للانفجار». وتقرر وفقاً لغيلون أن يكون مكان تنفيذ الخطة هو باب الرحمة وهو الباب المغلق الذي يتجه للشرق ويقع فوق مقبرة إسلامية لأن ارتفاع السور هناك هو الأقل ولأنه لا يوجد حراس في هذه المنطقة.

وفي نيسان عام ١٩٨٢ وعشية تنفيذ المرحلة الأخيرة من الانسحاب من سيناء قال غيلون أن « كل شيء كان جاهزاً للتنفيذ.. ولكن مناحيم ليفي تردد في ذلك الحين. وتابع: «لما كان ليفي هو الشخصية الرئيسية في الخطة تم التخلي عن الفكرة وهكذا نجت قبة الصخرة وتمت الحيلولة دون نشوب حرب في المنطقة». وفي عام ١٩٨٤ اعتقلت الشرطة الصهيونية باقي المجموعة الذين كانوا في انتظار فرصة جديدة لتنفيذ العملية ».

- وكذلك فإنه قبيل وخلال وبعد مفاوضات كامب ديفيد-٢ والتي ركزت فيها الأطراف المتفاوضة كثيراً على قضية القدس والأماكن المقدسة، أثارت مصادر عديدة احتمالية الاعتداء على المسجد الأقصى الشريف.

٥- الإقتحام المسلح:

- في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨ أطلقت الشرطة الإسرائيلية وابلا من الرصاص في ساحات المسجد الأقصى، فقتلت وأصابت العشرات.

- في ٢ آذار/ مارس ١٩٨٢ حاولت مجموعة من المتطرفين اليهود من مستوطني كريات أربع مزودة بالأسلحة النارية اقتحام المسجد الأقصى من باب السلسلة بعد أن اشتبكت مع الحراس العرب، كما اقتحم الجندي الإسرائيلي إيلي جثمان في ١١ نيسان/ أبريل ١٩٨٢ المسجد حيث نجح في الوصول إلى قبة الصخرة ودخولها، بعد أن أطلق النار على حرس المسجد وقتل اثنان منهم. وقد أسفرت الاصطدامات التي وقعت بين المسلمين واليهود عن سقوط تسع شهداء و ١٣٦ جريحا فلسطينيا[١].

- في ٨ آب/أغسطس ١٩٩٠ حدثت صدامات بين الشرطة الإسرائيلية والمصلين في باحة المسجد الأقصى، أسفرت عن استشهاد ٢٢ مصليا، وإصابة أكثر من مئتي شخص بجراح.

- وتعد المجزرة التي قامت بها القوات الصهيونية في ساحة الأقصى في ٨ أكتوبر ١٩٩٠ من أبرز الجرائم التي نفذها جيش الاحتلال الإسرائيلي. فقد أطلق الجنود الصهاينة النار على المصلين في المسجد بعد تصد المصلين لمجموعة أمناء جبل الهيكل المتطرفة عند محاولتهم وضع حجر الأساس للهيكل المزعوم في ساحة الأقصى الشريف وقد أسفرت المجزرة عن استشهاد أكثر من ٢٠ شخصا وجرح ١١٥ آخرين.

---

[١] جامعة الدول العربية، مرجع سابق.

٦- المحاولات المتكررة للصلاة في المسجد الأقصى:

-بدأت المحاولات الصهيونية لاقتحام المسجد الأقصى وساحة الخارجية بحجة الصلاة فيه في ١٨ آب/ أغسطس ١٩٦٩ حيث قام فوج من ٢٥ صهيوني بالطواف حول مسجد الصخرة وهم يتلون المزامير، والأدعية وبعض فقرات من التوراة، ثم أخذوا ينشدون النشيد الصهيوني "بتار"[1].

-وفي ٢٨ كانون ثاني/ يناير ١٩٧٦ سمحت القاضية روث أود من المحكمة الإسرائيلية لليهود في الصلاة داخل الأقصى الشريف.

-وفي ٢٤ شباط/ فبراير ١٩٨٢ سمحت الشرطة الإسرائيلية لمجموعة من أعضاء الكنيست من حركة (هتحيا) العنصرية بالقيام بجولة في الحرم القدسي بمناسبة ذكرى خراب الهيكل وكانوا يعتزمون تأدية الصلاة لولا منعهم من قبل الحراس المسلمون. كما رفع الوفد البرلماني الإسرائيلي علم (إسرائيل) في ساحات الأقصى وهم يرددون النشيد الوطني الإسرائيلي[2].

-كما أعلن مكتب نتنياهو رئيس الوزراء الصهيوني السابق أن صلاة اليهود في المسجد الأقصى مسموح بها وأنه لم يتم حظرها في أي وقت من الأوقات، ولقد تزامن هذا الإعلان الأخير مع قرار بناء المستوطنة الجديدة في جبل أبو غنيم ومواصلة الحفريات تحت المسجد الأقصى المبارك.

وقال الشيخ ناجح بكيرات رئيس لجنة التراث الإسلامي إن أعمال التخريب والهدم للقصور الأموية جارية على قدم وساق وأن الجهات الصهيونية تسعى من خلال إزالة تلك

---

(١) روحي الخطيب، تهويد القدس (د.م ١٩٧٠).

(٢) أحمد عبد ربه بصبوص، مرجع سابق.

المعالم إلى تحضير المنطقة لليهود من أجل الصلاة فيها تحقيقا لادعاء يشير إلى وجود مدخل جنوبي لما يسمونه الهيكل. وأوضح بكيرات أن سلطة الآثار الصهيونية أدخلت إلى الموقع آلات حفر مختلفة بمحاذاة السور الجنوبي للمسجد الأقصى وقامت على الفور بهدم عدد من بقايا القصور الأموية وصب سقف باطون وعمل مدرج خاص وتواصل تلك الجهات العمل في الموقع رغم إسلاميته. وحذر الشيخ بكيرات من خطورة الإجراءات الصهيونية التي تهدد المسجد الأقصى.

وقال بكيرات «هناك خوف كبير مما يجري خاصة أنهم يعملون أمام الباب الثلاثي للمصلى المرواني وهو بوابة رئيسية لدار الإمارة والقصور الأموية وهم الآن يزيلون بقايا القصور والأبنية القائمة رغم أن القانون لا يجيز تغيير المعالم إلا أنهم استخدموا الآلات والمعدات وقاموا بصب الإسمنت المسلح.

وأضاف بكيرات قائلاً « في المنطقة التي يعملون بها مغارة تؤدي مباشرة إلى المسجد الأقصى وهناك خطورة من تسلل عناصر صهيونية متطرفة لارتكاب جرائم كما أن تلك الأعمال تناقض الادعاءات الصهيونية بشأن مكان المبكى فمن جهة هم يقولون إنه يقع في الجهة الغربية من سور الأقصى إلا أن أعمال التخريب والحفر تثبت أنهم يحاولون توسيع دائرة ما يسمونه «حائط المبكى» وذلك بهدف إحاطة المسجد وتهويد المنطقة. وناشد الشيخ بكيرات كافة المسؤولين وعلى رأسهم الأوقاف الإسلامية ضرورة التحرك لوضع حد لهذه الاعتداءات المتكررة بحق المقدسات الإسلامية مؤكداً أن الأوقاف هي صاحبة الحق في هذه الأماكن وليست دائرة الآثار الصهيونية «صحيفة الحياة الجديدة الفلسطينية ٣١/٨/١٩٩٩».

إن الحفريات الجارية في الجهتين الغربية والجنوبية للمسجد الأقصى ومقبرة باب الرحمة قد أدت إلى ما يلي:

- جرف أكثر من مائة قبر من قبور الصحابة والتابعين التي كانت موجودة قرب الحائط الغربي من المسجد الأقصى.
- حدوث تشققات وانهيارات في أسوار المسجد الأقصى ولا سيما الحائط الجنوبي الذي كشف الشريط الوثائقي أن اليهود باتوا يستخدمونه كمكان لتأدية طقوسهم الدينية من خلال وضع أوراق تشمل على بعض ترانيمهم الدينية، وهذا يعني أنهم قد بدأوا في معاملته كمعاملة حائط البراق الذي يسمونه حائط المبكى، وأن نيتهم تتجه إلى تحويله إلى مكان للصلاة كما حدث سابقاً مع حائط البراق.

- تغيير ملامح ومعالم المنطقة المحيطة بالمسجد الأقصى، فبالإضافة إلى حركة البناء المكثفة التي تتم حالياً والتي نعتقد أنها جزء من مخطط بناء الهيكل الثالث، تقوم سلطة الآثار حالياً ببناء استراحة «حمارة» واسعة بالقرب من نوافذ المسجد الأقصى المبارك الخارجية، قد تكون ملتقى للعشاق ومنتدى ترتكب فيه الفواحش على مرأى ومسمع من الجميع.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وسيد المرسلين ﷺ.

هذا هو المسجد الأقصى، بتاريخه المجيد المديد، الذي شهد لأقوام وكان سبباً لعلو شأنهم ورفعة منزلتهم وتخليد ذكرهم الطيب على مدى الدهر، والذي شهد على أقوام آخرين وجعلهم نماذج للإسراف في الدين والتفريط في الأعراض والمقدسات.

وها هو بأبنيته الشامخة تحت لواء الإسلام، تشهد بعظمة الإسلام وعبقريته الفذة وريادته وهيمنته. وتشهد كذلك بعظم مكانة هذه البقعة الطاهرة في الإسلام وفي قلوب المسلمين.

وها هو يتألم تحت وطأة قتلة الأنبياء، ويشتكي إلى الله ويدعوه أن ينقذه ويطهره من دنس اليهود، ويبكي على حال المسلمين وهوانه عليهم ويقول لهم:

يا ويحكم يا مسلمون ، كأنما	عَقِمَتْ كرامتكم عن الإنجابِ
وكأنّ مأساتي تزيدُ خضوعكم	ونكوص همّتكم على الأعقابِ
وكأنّ ظُلْمَ المعتدين يسرُّكم	وكأنّكم تستحسنون عذابي
غيّبتموني في سراديب الأسى	يا ويلَ قلبي من أشدّ غيابِ
عهدي بشدْو بلابلي يسري إلى	قلبي ، فكيف غدا نعيقَ غُرابِ ؟!*

والخوف كل الخوف أن تكون شهادته علينا هي آخر شهادة، أو يكون الآن في شكواه الأخيرة والتي طال أمدها وعلا فيها أنينه، قبل أن ينهار مخلفاً لنا عاراً ما بعده عار وذلاً ما بعده ذل.

ندعو الله العلي القدير ألا يجعلنا أهلاً لهذا الخزي العظيم.

ولكن كيف؟

---

* من قصيدة (الأقصى يناديكم) للدكتور عبدالرحمن العشماوي.

علينا أولا أن نعود إلى الله .. إلى حظيرة الإيمان .. إلى التمسك بديننا الحنيف الذي تفضل الله به علينا وأن نصونه ونقيم حدوده كي يحفظه الله علينا ويحيينا تحت لوائه ويميتنا على كلمته ويحشرنا في زمرة أهله الصالحين.

نعود إلى ديننا لكي نكون أهلا للمحافظة على مقدساتنا وحمايتها.

علينا أن نصلح من أنفسنا فرادى وجماعات. ولنعد إلى ما يجعلنا بحق خير أمة أخرجت للناس، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يرفع الله مقته وغضبه عنا ويتقبل دعائنا ويذهب عنا الهم والحزن، إنه رؤوف رحيم.

وثانيا علينا أن نعد أنفسنا للجهاد، وذلك بأن نحدث أنفسنا بجهاد الأعداء ونمنيها بالشهادة في سبيل الله تعالى، حتى يأذن الله لنا بالجهاد ويجعلنا أهلا له ويتخذ منا شهداء ويكتب لنا النصر والتمكين.

ذلك أن الحرب بين المسلمين واليهود لاريب آتية كما يعلم كل واحد منا، وأن النصر لنا بإذن الله. ندعو الله أن يجعلنا من هؤلاء المسلمين الذين سينالون هذا الشرف العظيم.

وبهذا الإيمان وبذلك العلم وبالإستعداد للجهاد، لن ينفع اليهود مكرهم ولن تجدي مخططاتهم، وسينفقون أموالهم التي ينفقونها لكي يصدوا عن سبيل الله ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون بإذن الله وفضله، فهو سبحانه لطيف لما يشاء.

ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

المراجع ومصادر المعلومات

١- المركز الفلسطيني للإعلام (م.ف.ع) — دليل المسجد الأقصى (موقع المركز على الإنترنت).

٢- أ.د عبد الحليم عويس، مكانة بيت المقدس في الإسلام وعند المسلمين (م.ف.ع).

٣- عبد العزيز بن مصطفى كامل ، قبل الكارثة .. نذير ونفير (المنتدى الإسلامي- لندن) ٢٠٠١.

٤- الشيخ رائد صلاح، حدود المسجد الأقصى (م.ف.ع).

٥- د. عفيف البهنسي ، الأصالة الإسلامية في عمارة القدس وزخارفها (م.ف.ع).

فهرس

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية

تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦